سورة الصافات

مكية، وهي مائة وإحدى وثمانون آية، وقيل: واثنتان وثمانون [نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)﴾

أقسم الله سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم الصافات أقدامها في الصلاة، من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥)﴾ [الصافات: ١٦٥] أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله ﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾ السحاب سوقاً ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها. وقيل: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾: الطير، من قوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ [النور: ٤١] والزاجرات: كل ما زجر عن معاصي الله. والتاليات: كل من تلا كتاب الله. ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها في التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات، فالزجرات بالمواعظ والنصائح، فالتاليات آيات الله والدراسات شرائعه أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد، وتتلو الذكر[1] مع ذلك لا تشغلها عنه تلك

---

(١) قال محمود: «المقسم به طوائف الملائكة أو نفوسهم، والمراد صفهم في الصلاة وزجرهم السحاب أي سوقهم وتلاوتهم ذكر الله أو العلماء، والمراد تصافف أقدامهم في الصلاة وزجرهم بالمواعظ عن المعاصي وتلاوتهم الذكر... إلى أن قال:... «ويكون التفاضل بين الطوائف إما على أن الأول هو الأفضل أو على العكس» قال أحمد: قد جوز أن يكون ترتيبها في التفاضل على أن الأول وهو الأفضل وعلى العكس، ولم يبين وجه كل واحد منهما من حيث صنعة البديع، ونحن نبينه فنقول: وجه البداءة بالأفضل الاعتناء بالأهم. فقدم؛ ووجه عكس هذا الترقي من الأدنى إلى الأعلى؛ ومنه قوله [من الطويل]:

بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... علي ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال: إن هذا إنما ساغ لأن الواو لا تقتضي رتبة، فإن هذا غايته أنه عذر، وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة؛ وفي هذه الآية دلالة على مذهب سيبويه والخليل في مثل (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) فإنهما يقولان: الواو الثانية وما بعدها عواطف، وغيرهما يذهب إلى =

الشواغل؛ كما يحكى عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. فإن قلت: ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟ قلت: إما أن تدلّ على ترتب معانيها في الوجود؛ كقوله [من السريع]:

يَا لَهْفَ زَيَّابة لِلْحَارِثِ الصَّابِحِ فَالغَانِمِ فَالآيِبِ[1]

كأنه قيل: الذي صبح فغنم فآب. وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه؛ كقولك: خذ الأفضل فالأكمل، واعمل الأحسن فالأجمل. وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك؛ كقوله: رحم الله المحلقين فالمقصرين؛ فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاصفة في الصفات، فإن قلت: فعلى أي هذه القوانين هي فيما أنت بصدده؟ قلت: إن وحدت الموصوف، كانت للدلالة على أن ترتب الصفات في التفاضل، وإن ثلثته، فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه، بيان ذلك: أنك إذا أجريت هذه الأوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها، فعطفها بالفاء يفيد ترتباً لها في الفضل: إما إن يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة وإما على العكس، وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة. وإن أجريت الصفة الأولى على طوائف والثانية والثالثة على أخر، فقد أفادت ترتب الموصوفات في الفضل، أعني: أن الطوائف الصافات ذوات فضل، والزاجرات أفضل، والتاليات أبهر فضلاً، أو على العكس، وكذلك إذا أردت بالصافات: الطير، وبالزاجرات: كل ما يزجر عن معصية، وبالتاليات: كل نفس تتلو الذكر؛ فإن الموصوفات مختلفة. وقرئ: بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال. ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف. و ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ ثلثمائة وستون مشرقاً، وكذلك المغارب؛ تشرق الشمس كل يوم في مشرق وتغرب في مغرب، ولا تطلع ولا تغرب في واحد يومين. فإن قلت: فماذا أراد بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ [الرحمن: ١٧]؟ قلت: أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾

﴿ٱلدُّنْيَا﴾ القربى منكم. والزينة: مصدر كالنسبة، واسم لما يزان به الشيء؛ كالليقة اسم لما تلاق به الدواة، ويحتملهما قوله: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ فإن أردت المصدر، فعلى إضافته إلى الفاعل، أي: بأن زانتها الكواكب، وأصله/ ٢/ ١٢٦أ: بزينة الكواكب، أو على

= أنها حروف قسم؛ فوقوع الفاء في هذه الآية موقع الواو والمعنى واحد؛ إلا أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا للقسم.

(١) تقدم.

إضافته إلى المفعول، أي: بأن زان الله الكواكب وحسنها؛ لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها، وأصله ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب. وإن أردت الاسم فللإضافة وجهان: أن تقع الكواكب بياناً للزينة؛ لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به، وأن يراد ما زينت به الكواكب. وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: بزينة الكواكب: بضوء الكواكب، ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة؛ كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء، وغير ذلك، ومطالعها ومسايرها. وقرئ على هذا المعنى: «بزينة الكواكب» بتنوين زينة، وجرّ الكواكب على الإبدال، ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلاً من محل بزينة ﴿وَحِفْظًا﴾ مما حمل على المعنى؛ لأنّ المعنى: إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشياطين؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] ويجوز أن يقدر الفعل المعلل؛ كأنه قيل: وحفظاً ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ زيناها بالكواكب، وقيل: وحفظناها حفظاً. والمارد: الخارج من الطاعة المتملس[1] منها.

﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

الضمير في «لا يسمعون» لكل شيطان، لأنه في معنى الشياطين. وقرئ بالتخفيف والتشديد، وأصله: يتسمعون. والتسمُّع: تطلب السماع. يقال: تسمع فسمع، أو فلم يسمع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم يتسمعون ولا يسمعون (١٢٧٨)، وبهذا ينصر التخفيف على التشديد. فإن قلت: لا يسمعون كيف اتصل بما قبله؟ قلت: لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان، أو استئنافاً فلا تصحّ الصفة؛ لأنَ الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له، وكذلك الاستئناف؛ لأنّ سائلاً لو سأل: لم تحفظ من الشياطين؟ فأجيب بأنهم لا يسمعون: لم يستقم، فبقي أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأ اقتصاصاً، لما عليه حال المسترقة للسمع[2]، وأنهم لا يقدرون أن

١٢٧٨ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١١)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن ابن عباس قال: إنهم كانوا يتسمعون ولكن لا يسمعون!!

---

(١) قوله: «من الطاعة المتملس منها» في الصحاح: يقال: انملس من الأمر، إذا أفلت منه. (ع).

(٢) أبطل الزمخشري أن يكون (لا يسمعون) صفة؛ لأن الحفظ من شيطان لا يسمع لا معنى له، وأبطل أن يكون أصله لئلا يسمعوا، فحذف اللام وحذفها كثير، ثم حذف أن وأهدر عملها مثل [من الطويل]:

ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي؟ =

يسمعوا إلى كلام الملائكة، أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك، إلا من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة؛ فعندها تعاجله الهلكة بإتباع الشهاب الثاقب. فإن قلت: هل يصحّ قول من زعم أن أصله: لئلا يسمعوا فحذفت اللام؛ كما حذفت في قولك: جئتك أن تكرمني، فبقي ألاَّ يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها، كما في قول القائل [من الطويل]:

أَلاَ أَيُّهَـذَا الـزَّاجِـرِي أَحْـضُـرُ الْـوَغـى[(1)] ....؟

قلت: كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده، فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات، على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب. فإن قلت: أي فرق بين سمعت فلاناً يتحدّث، وسمعت إليه يتحدّث، وسمعت حديثه، وإلى حديثه؟ قلت: المعدى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك و«الملأ الأعلى»: الملائكة (١٢٧٩)؛ لأنهم يسكنون السماوات، والإنس والجن: هم الملأ الأسفل؛ لأنهم سكان الأرض. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الكتبة من الملائكة. وعنه: أشراف الملائكة ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جميع جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق ﴿دُحُورًا﴾

١٢٧٩ ـ ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥١١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي في قوله لا يسمعون إلى الملأ الأعلى: قال الملائكة.

= واستبعد اجتماع هذين الحذفين، وإن كان كل واحد منهما بانفراده سائغاً، ولما أبطل هذين الوجهين تعين عنده أن يكون ابتداء كلام اقتصاصاً لما عليه أحوال المسترقة للسمع، قال أحمد: كلا الوجهين مستقيم، والجواب عن إشكاله الوارد على الوجه الأول: أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه، فحال الشيطان حال كونه محفوظاً منه هي حال كونه لا يسمع، وإحدى الحالين لازمة للأخرى، فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه، وكونه موصوفاً بعدم السماع في حالة واحدة لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسيمه، ونظير هذه الآية على هذا التقدير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فقوله تعالى «مسخرات» حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر. ومعناه مستقيم؛ لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة، فالحال التي سخرت فيها هي الحال التي كانت فيها مسخرة، لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك، وما أشار له الزمخشري في هذه الآية قريب من هذا التفسير؛ إلاَّ أنه ذكر معه تأويلاً آخر كالمستشكل لهذا الوجه، فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كممزق، وجعل المعنى: وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعاً من التسخير، وفيما ذكرناه كفاية، ومن هذا النمط (ثم أرسلنا رسلنا) وهم ما كانوا رسلاً إلا بالإرسال، وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون إلاَّ بالحفظ، وأما الجواب عن إشكاله الثاني فورود حذفين في مثل قوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) وأصله لئلا تضلوا، فحذف اللام و«لا» جميعاً من محليهما.

(١) تقدم.

مفعول له؛ أي: ويقذفون للدحور وهو الطرد، أو مدحورين على الحال، أو لأنّ القذف والطرد متقاربان في المعنى؛ فكأنه قيل: يدحرون أو قذفاً. وقرأ أبو عبد الرحمٰن السلمي بفتح الدال على: قذفاً دحوراً طروداً، أو على أنه قد جاء مجيء القبول والولوع. والواصب: الدائم، وصب الأمر وصوباً، يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب، وقد أعدّ لهم في الآخرة نوع من العذاب دائم غير منقطع ﴿مَنْ﴾ في محل الرفع بدل من الواو في «لا يسمعون» أي: لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي ﴿خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ وقرئ: «خطف» بكسر الخاء والطاء وتشديدها، و«خطف» بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها، أصلها: اختطف. وقرئ: «فأتبعه» و«فاتبعه».

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾﴾

الهمزة وإن خرجت إلى معنى التقرير، فهي بمعنى الاستفهام في أصلها، فلذلك قيل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ أي: استخبرهم ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ ولم يقل: فقرّرهم، والضمير لمشركي مكة. قيل: نزلت في أبي الأشد بن كلدة، وكني بذلك لشدّة بطشه وقوّته ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يريد: ما ذكر من خلائقه: من الملائكة، والسمٰوات والأرض، والمشارق، والكواكب، والشهب الثواقب، والشياطين المردة، وغلّب أولي العقل على غيرهم، فقال: «من خلقنا»، والدليل عليه قوله بعد عدّ هذه الأشياء: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ بالفاء المعقبة. وقوله: ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ مطلقاً من غير تقييد بالبيان، اكتفاء ببيان ما تقدّمه، كأنه قال: خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق وبدائعه، فاستفتهم أهم أشدّ خلقاً أم الذي خلقناه من ذلك، ويقطع به قراءة من قرأ: «أم من عددنا» بالتخفيف والتشديد. و «أشدّ خلقاً» يحتمل أقوى خلقاً من قولهم: شديد/٢/١٢٦ب الخلق، وفي خلقه شدّة، وأصعب خلقاً وأشقه، على معنى الردّ لإنكارهم البعث والنشأة الأخرى، وأنّ من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها ـ كان خلق البشر عليه أهون. وخلقهم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة؛ لأنّ ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوّة، أو احتجاج عليهم بأن الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب، فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله، حيث قالوا: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا﴾ [الرعد: ٥]. وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر إنكارهم البعث. وقيل: من خلقنا من الأمم الماضية، وليس هذا القول بملائم. وقرئ: «لازب» و «لاتب» والمعنى واحد، والثاقب: الشديد الإضاءة.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

«بل عجبت» من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ منك ومن

تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله، أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث وقرئ بضم التاء: أي: بلغ من عظم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها، فكيف بعبادي وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي، أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله، وهم يسخرون ممن يصف الله تعالى بالقدرة عليه. فإن قلت: كيف يجوز العجب على الله تعالى، وإنما هو روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء، والله تعالى لا يجوز عليه الروعة؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يجرد العجب لمعنى الاستعظام، والثاني: أن يُتخيل العجب ويفرض. وقد جاء في الحديث: «عجب ربكم من ألكم[1] وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم» (١٢٨٠). وكان شريح يقرأ بالفتح، ويقول: إنّ الله لا يعجب من شيء، وإنما يعجب من لا يعلم، فقال إبراهيم النخعي: إنّ شريحاً كان يعجبه علمه وعبد الله أعلم، يريد عبد الله بن مسعود (١٢٨١)، وكان يقرأ بالضم. وقيل: معناه: قل: يا محمد بل عجبت. ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ ودأبهم أنهم إذا وعظوا بشيء لا يتعظون به ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً﴾ من آيات الله البينة كانشقاق القمر ونحوه ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية، أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ معطوف على محل ﴿إِنَّ﴾ واسمها، أو على الضمير في «مبعوثون»، والذي جوّز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام. والمعنى: أيبعث أيضاً آباؤنا على زيادة الاستبعاد؛ يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعد وأبطل. وقرئ: «أو آباؤنا» ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ وقرئ: «نعم» بكسر العين وهما لغتان. وقرئ: «قال نعم» أي: الله تعالى أو الرسول ﷺ. والمعنى: نعم تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون ﴿فَإِنَّمَا﴾ جواب شرط مقدّر تقديره: إذا كان ذلك فما ﴿هِىَ﴾ إلا ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وهي لا ترجع إلى شيء، إنما هي مبهمة موضحها خبرها.

١٢٨٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٧٥)، حديث (١٠٧٣): غريب قال الحافظ: أخرجه أبو عبيد في الغريب عن محمد بن عمرو يرفعه، ثم قال: فقال: الأول رفع الصوت بالدعاء، وقال بعضهم: يرويه الأول، وهو الشدة، انتهى.

١٢٨١ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١٣)، وعزاه لعبد بن حميد، وأبو عبيد وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق الأعمش عن شقيق بن سلمة عن شريح، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٨).

---

(١) قوله: «من ألكم وقنوطكم» الأل: يأتي بمعنى السرعة والأنين والفساد. أفاده الصحاح. (ع).

ويجوز: فإنما البعثة زجرة واحدة[1] وهي النفخة الثانية. والزجرة: الصيحة، من قولك: زجر الراعي الإبل أو الغنم: إذا صاح عليها فريعت لصوته. ومنه قوله [من المنسرح]:

زَجْــرَ أَبِــي عُــرْوَةَ السِّـبَــاعَ إِذَا ... أَشْـفَـقَ أَنْ يَـخْـتَـلِطْـنَ بِـالْـغَـنَـمِ[2]

يريد تصويته بها ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أحياء بصراء ﴿يَنظُرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

يحتمل أن يكون ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿احشروا﴾ من كلام الكفرة بعضهم مع بعض، وأن يكون من كلام الملائكة لهم، وأن يكون ﴿يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ كلام الكفرة. و ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ من كلام الملائكة جواباً لهم. ويوم الدين: اليوم الذي ندان فيه، أي: نجازى بأعمالنا. ويوم الفصل: يوم القضاء، والفرق بين فرق الهدى والضلالة.

﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ٱحْشُرُوا۟﴾ خطاب الله للملائكة، أو خطاب بعضهم مع بعض ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ وضرباءهم عن النبي ﷺ، وهم نظراؤهم وأشباههم من العصاة: أهل الزنا مع أهل الزنا، وأهل السرقة مع أهل السرقة. وقيل: قرناؤهم من الشياطين. وقيل: نساؤهم اللاتي على دينهم ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ فعرّفوهم طريق النار حتى يسلكوها؛ هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز. عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا متعاضدين متناصرين ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز، فكلهم مستسلم غير منتصر. وقرئ: «لا تتناصرون» و«لا تناصرون»، بالإدغام.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وكثيراً ما يقول هو وابن مالك: إنّ الضميرَ يُفسِّرُهُ خبرهُ. وَوَقَفَ أبو حاتم على «وَيْلَنَا» وجعل ما بعده من قَوْلِ الباريءِ تعالى وبعضهم جعل «هَذا يَوْمُ الدِّينِ» من كلام الكَفَرَةِ فيقفُ عليه. وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ من قول الباريءِ تعالى، وقيل: الجميع من كلامهم وعلى هذا فيكون قوله: «تُكَذِّبُونَ» إمّا التفاتاً من التكلُّم إلى الخطاب وإمّا مخاطبةً بعضهم لبعض. انتهى. الدر المصون.

(٢) للنابغة الجعدي. وأبو عروة: كنية العباس عم النبي ﷺ، كانوا يزعمون أنه يصيح بالسباع فينفق مرارة الأسد في جوفه، وروي أن غارة أتتهم يوم حنين فصاح: يا صباحاه فأسقطت الحوامل، وكان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال، وزجره يزجره، إذا صاح بمنعه، أي: كزجر أبي عروة السباع عن الغنم إذا خاف اختلاطهن بها في البادية.
ينظر: ديوان (ص ١٥٨)، لسان العرب (عرا)، تهذيب اللغة (٣/ ١٦٢).

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟
مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا
لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما، وكانوا يتيمنون بها، فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون، ويزاولون أكثر الأمور، ويتشاءمون بالشمال، ولذلك سموها: الشؤمى، كما سموا أختها اليمنى، وتيمنوا بالسانح[1]، وتطيروا/ ٢/ ١٢٧أ بالبارح، وكان الأعسر معيباً عندهم، وعضدت الشريعة ذلك، فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين، وأراذلها بالشمال، وكان رسول الله ﷺ يحب التيامن في كل شيء (١٢٨٢). وجعلت اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيئات، ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيء أن يؤتاه بشماله، استعيرت لجهة الخير وجانبه، فقيل: أتاه عن اليمين، أي: من قبل الخير وناحيته، فصدّه عنه وأضلّه. وجاء في بعض التفاسير: «من أتاه الشيطان من جهة اليمين، أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق، ومن أتاه من جهة الشمال، أتاه من قبل الشهوات، ومن أتاه من بين يديه، أتاه من قبل التكذيب بالقيامة

١٢٨٢ ـ أخرجه البخاري (١/ ٣٢٣) كتاب الوضوء: باب التيمن في الوضوء والغسل حديث (١٦٧) وفي (١/ ٦٢٣) كتاب الصلاة: باب التيمن في دخول المسجد وغيره حديث (٤٢٦) وكتاب الأطعمة: باب التيمن في الأكل وغيره حديث (٥٣٨٠) وكتاب اللباس: باب يبدأ بالنعل اليمنى حديث (٥٨٥٤) وباب الترجيل والتيمن فيه حديث (٥٩٢٦) ومسلم (١/ ٢٢٦) كتاب الطهارة: باب التيمن في الطهور وغيره حديث (٦٧/ ٢٦٨) وأبو داود (٢/ ٤٦٨) كتاب اللباس: باب في الانتعال حديث (٤١٤٠) والترمذي (٢/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦) كتاب الصلاة: باب ما يستحب من التيمن في الطهور حديث (٦٠٨) وفي «الشمائل المحمدية» رقم (٣٤) والنسائي (١/ ٧٨) كتاب الطهارة: باب بأي الرجلين يبدأ بالغسل حديث (١١٢) وفي (١/ ٢٠٥) كتاب الغسل والتيمم: باب التيمن في الطهور حديث (٤٢١) وفي (٨/ ١٨٥) كتاب الزينة: باب التيامن في الترجل حديث (٥٢٤٠) وابن ماجه (١/ ١٤١) كتاب الطهارة: باب التيمن في الوضوء حديث (٤٠١) وأحمد (٦/ ٩٤، ١٣٠، ١٤٧، ١٧٨، ١٨٨، ٢٠٢، ٢١٠) وأبو عوانة (١/ ٢٢٢) والطيالسي (١٤١٠) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص ٢٦١) وابن حبان (٥٤٥٦) والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٣١٠ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق الأشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها أتم من هذا انتهى.

---

(١) قوله: «وتيمنوا بالسانح» السانح: المار من اليسار إلى اليمين. والبارح عكسه. أفاده الصحاح. (ع).

وبالثواب والعقاب، ومن أتاه من خلفه، خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده؛ فلم يصل رحماً ولم يؤد زكاة». فإن قلت: قولهم: أتاه من جهة الخير وناحيته، مجاز في نفسه، فكيف جعلت اليمين مجازاً عن المجاز؟ قلت: من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق، وهذا من ذاك؛ ولك أن تجعلها مستعارة للقوّة والقهر؛ لأنّ اليمين موصوفة بالقوة، وبها يقع البطش. والمعنى: أنكم كنتم تأتوننا عن القوّة والقهر، وتقصدوننا عن السلطان والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه؛ وهذا من خطاب الأتباع لرؤسائهم، والغواة لشياطينهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ بل أبيتم أنتم الإيمان وأعرضتم عنه، مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر، غير ملجئين إليه ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم﴾ من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا﴾ مختارين الطغيان ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا﴾ فلزمنا ﴿قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ يعني: وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة، لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة، ولو حكى الوعيد كما هو، ألا لقال: إنكم لذائقون، ولكنه عدل به إلى لفظ المتكلم؛ لأنهم متكلمون بذلك عن أنفسهم. ونحوه قول القائل [من الوافر]:

ألاَ زَعَمَتْ هَوَازِنُ قَلَّ مَالِي ....(١)

ولو حكى قولها لقال: قل مالك، ومنه قول المحلف للحالف: احلف لأخرجنّ، ولتخرجنّ؛ الهمزة لحكاية لفظ الحالف، والتاء لإقبال المحلف على المحلف ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ فدعوناكم إلى الغي دعوة محصلة للبغية، لقبولكم لها واستحبابكم الغيّ على الرشد ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ فإن الأتباع والمتبوعين جميعاً ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة مشتركون في العذاب؛ كما كانوا مشتركين في الغواية ﴿إِنَّا﴾ مثل ذلك الفعل ﴿نَفْعَلُ﴾ بكل مجرم، يعني أنّ سبب العقوبة هو الإجرام، فمن ارتكبه استوجبها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا﴾ سمعوا بكلمة التوحيد، نفروا و استكبروا عنها وأبوا إلا الشرك.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ

---

(١) ألا زعمت هوازن قل مالي ... وهل لي غير ما أنفقت مال؟
أسر به نعم ونعم قديماً ... على ما كان من مال وبال

ألا استفتاحية، وهوزان: امرأته، وضمّن زعمت معنى قالت: فعداه إلى الجملة، ولو حكى قولها بلفظه لقال: قل مالك، ولكن جاء بياء المتكلم لجواز الحكاية بالمعنى، وهل: استفهام إنكاري، وغير: حال مقدمة، أي: ليس لي مال غير ما أنفقته في المكارم، وأسر به. مبني للمجهول صفة لمال، أي: لا يسرني غير ما أنفقته، وبين جهة الإنفاق بقوله: نعم ونعم، أي جوابي للسائلين بذلك من قديم الزمان: هو وبال ومضرة على ما كان لي من مال، ويجوز أن أسر مبني للفاعل. ونعم الأولى مفعوله، أي: هل لي مال أسر به من يجاب بنعم، والحال أن نعم وبال على المال، ومهلكة له قديماً، حيث أجيب السائل بها.

﴿لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ﴾ رد على المشركين ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ كقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقرئ: «الذائقو العذاب»، بالنصب على تقدير النون؛ كقوله [من المتقارب]:

.... وَلاَ ذَاكِرَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً[١]

بتقدير التنوين. وقرئ: على الأصل «لذائقون العذاب» ﴿إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إلا مثل ما عملتم جزاء سيئاً بعمل سيء.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ ولكن عباد الله، على الاستثناء المنقطع. فسر الرزق المعلوم بالفواكه؛ وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوّت لحفظ الصحة؛ يعني أن رزقهم كله فواكه؛ لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات، بأنهم أجسام محكمة مخلوقة للأبد، فكل ما يأكلونه يأكلونه على سبيل التلذذ، ويجوز أن يراد: رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها: من طيب طعم، ورائحة، ولذة، وحسن منظر. وقيل: معلوم الوقت، كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] وعن قتادة: الرزق المعلوم الجنة، وقوله ﴿فِى جَنَّٰتِ﴾ يأباه، وقوله: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ هو الذي يقوله وعن العلماء في حدّ الثواب على سبيل المدح والتعظيم، وهو من أعظم ما يجب أن تتوق إليه نفوس ذوي الهمم، كما أنّ من أعظم ما يجب أن تنفر عنه نفوسهم هوان أهل النار وصغارهم.

التقابل أتم للسرور وآنس. وقيل: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

ويقال للزجاجة فيها الخمر: كأس، وتسمى الخمر نفسها كأساً، قال [من المتقارب]:

وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ....[٢]

---

(١) تقدم.

(٢) وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أني امرؤ أتيت المعيشة من بابها
للأعشى، والكأس تطلق على الزجاجة فيها الخمر، وعلى الخمر فيها: مجاز مشهور، وهي مؤنثة =

وعن الأخفش: كل كأس في القرآن فهي الخمر، وكذا في تفسير ابن عباس ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من شراب معين، أو من نهر معين، وهو الجاري على وجه الأرض، الظاهر للعيون، وصف بما يوصف به الماء؛ لأنه/٢/١٢٧ب يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ﴾ [محمد: ١٥] ﴿بَيْضَآءَ﴾ صفة للكأس ﴿لَذَّةٍ﴾ إمّا أن توصف باللذة كأنها نفس اللذة وعينها، أو هي تأنيث اللذ، يقال: لذ الشيء فهو لذ ولذيذ. ووزنه: فعل، كقولك: رجل طب، قال [من الطويل]:

وَلَـذٍّ كَـطَـعْـمِ الـصَّـرْخَـدِيِّ تَـرَكْـتُـهُ بِـأَرْضِ الْـعِـدَا مِـنْ خَـشْـيَـةِ الْـحَـدَثَـانِ[1]

يريد النوم. الغول: مِنْ غاله يغوله غولاً، إذا أهلكه وأفسده. ومنه: الغول الذي في تكاذيب العرب. وفي أمثالهم: الغضب غول الحلم، و ﴿يُنزَفُونَ﴾ على البناء للمفعول، من نزف الشاربُ[2] إذا ذهب عقله. ويقال للسكران: نزيف ومنزوف. ويقال للمطعون: نزف فَمات إذا خرج دمه كله، ونزحت الركية حتى نزفتها: إذا لم تترك فيها ماء، وفي أمثالهم: «أجبن من المنزوف ضرطاً» وقرئ: «ينزفون» من أنزف الشارب إذا ذهب عقله أو شرابه. قال [من الطويل]:

لَـعَـمْـرِي لَـئِـنْ أَنْـزَفْـتُـمُـو أَوْ صَـحَـوْتُـمُـو لَـبِـئْـسَ الـنَّـدَامَـى كُـنْـتُـمُـو آلَ أَبْـجَـرَا[3]

= بدليل تأنيث صفتها وضميرها. يقول: ورب كأس شربتها مع لذة، أو لأجل لذة فضرتني، فشربت كأساً أخرى تداويت من الأولى بها؛ ليعلم الناس أني مجرب للأمور، وكنى عن ذلك بقوله: أتيت المعيشة من بابها، وشبه المعيشة مع أسبابها المناسبة لها لدار لها باب على طريق المكنية، وإثبات الباب تخييل، أي: كما داويت الداء من بابه أدرك المعيشة وأحصلها من الأسباب التي تناسبها.
ويروى: بدل الشطر الثاني من البيت الأول «دهاق يرنح من ذاقها» ودهقه: كسره وغمزه غمزاً شديداً، وكأس داهق: ممتلئة، ودهاق: مملوءة. وترنح: تميل، لكن هذا من قافية أخرى.
ينظر: الدر المصون (٥/ ٥٠٠).

(١) اللذ: وصف، واللذة: مؤنثة، وهي اسم للكيفية القائمة بالنفس، واسم للشيء اللذيذ. والصرخد: موضع من الشام ينسب إليه الشراب. والحدثان: مصدر كالحدث، إلا أنه يدل على التجدد والتكرر، يقول: ورب شيء لذيذ يعني النوم، طعمه كطعم الشراب الطيب، تركته بأرض الأعداء خوف نزول المكاره بي. ويروى بدل الشطر الثاني «عشية خمس القوم والعين عاشقة» وخمست القوم أخمسهم ـ بالضم ـ: أخذت خمس أموالهم.
ينظر: لسان العرب (لذذ)، تهذيب اللغة (١٤/ ٤٠٩)، تاج العروس (لذذ)، مجمل اللغة (٤/ ٢٤٥)، أساس البلاغة (لذذ).

(٢) قوله: «من نزف الشارب في الصحاح: نزفت ماء البئر نزفاً، إذا نزحته كله. ونزفت هي: يَتَعَدَّى ولا يَتَعَدَّى.. ونزفت أيضاً على ما لم يسم فاعله. (ع).

(٣) للأبيرد. ونزف دمه: خرج منه حتى ضعف وانقطعت حركته. ونزف الرجل في الخصومة: انقطعت حجته، وأنزف: صار ذا نزف، فنزف وأنزف لازمان. وقوله: لئن أنزفتم، أي سكرتم وبطلت حركتكم، أو انقطع شرابكم، ولبئس الندامى: جواب القسم، وجواب الشرط مثله محذوف، =

ومعناه: صار ذا نزف. ونظيره: أقشع السحاب، وقشعته الريح، وأكب الرجل وكببته، وحقيقتهما: دخلا في القشع والكب. وفي قراءة طلحة بن مصرف: ينزفون: بضم الزاي، من نزف ينزف كقرب يقرب، إذا سكر. والمعنى: لا فيها فساد قط من أنواع الفساد التي تكون في شرب الخمر من مغص أو صداع أو خمار[(١)] أو عربدة أو لغو أو تأثيم أو غير ذلك، ولا هم يسكرون[(٢)]، وهو أعظم مفاسدها فأفرزه وأفرده بالذكر، ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قصرن أبصارهنّ على أزواجهنّ، لا يمددن طرفاً إلى غيرهم، كقوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾[(٣)] [الواقعة: ٣٧] والعين: النجل العيون[(٤)] شبههنّ ببيض النعام المكنون في الأداحي، وبها تشبه العرب النساء وتسميهنّ بيضات الخدور.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

فإن قلت: علام عطف قوله: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾؟ قلت: على يطاف عليهم. والمعنى: يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب[(٥)] قال [من الوافر]:

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللَّذَاتِ إِلاَّ أَحَادِيثُ الْكِرَامِ عَلَى الْمُدَامِ[(٦)]

= وأنتم: هو المخصوص بالذم. وآل أبجر: منادى، وفيه نوع من التهكم والاستخفاف بهم.
ينظر: لسان العرب (نزف)، بلا نسبة من جمهرة اللغة (ص ٨٢١)، خزانة الأدب (٩/ ٣٨٨)، الدرر (٥/ ٢١٥)، شرح عمدة الحافظ ص (٧٩٣)، المحتسب (٢/ ٣٠٨).

(١) قوله: «في الصحاح: الخمار: بقية السكر». (ع).

(٢) قوله: «ولا هم يسكرون» لعله: ولا هم عنها يسكرون. (ع).

(٣) قوله: «كقوله تعالى: عربا» أي متحببات إلى أزواجهن كما يأتي. (ع).

(٤) قوله: «النجل العيون» في الصحاح: النجل ـ بالتحريك: كشف العين. والرجل أنجل، والعين نجلاء، والجمع نجل. وفيه: مدحى النعامة: موضع بيضها. وأدحيها موضعها، وهو أفعول من دحوت؛ لأنها تدحوه برجلها ثم تبيض فيه اهـ والأداحي: جمعه. (ع).

(٥) قوله: «كعادة الشرب» جمع شارب، كالصحب جمع صاحب، كذا في الصحاح. (ع).

(٦) للفرزدق، يقول: وما بقيت لذة من اللذات إلاّ لذة أحاديث الكرام، أو ما بقيت شهوة من الشهوات اللذيذة إلاّ أحاديث الكرام على الخمر، وأتى بحرف الاستعلاء؛ لأن الشراب يكون بين أيديهم والحديث من أفواههم فوقه، وكان الظاهر: وما بقي من اللذات، لكن أنث الفعل؛ لأنه مفرغ لما بعد إلا، أو للتأويل المتقدم.
ينظر: البحر المحيط ٧/ ٣٦، الدر المصون (٥/ ٥٠٣).

فيقبل بعضهم على بعض ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ عما جرى لهم وعليهم في الدنيا، إلا أنه جيء به ماضياً على عادة الله في إخباره. قرئ: «من المصدّقين»، من التصديق. ومن المصَّدّقين مشدّد الصاد، من التصدّق، وقيل: نزلت في رجل تصدّق بماله لوجه الله، فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه؛ فقال: وأين مالك؟ قال: تصدقت به ليعوضني الله به في الآخرة خيراً منه، فقال: أئنك لمن المصدّقين بيوم الدين. أو من المتصدّقين لطلب الثواب. والله لا أعطيك شيئاً (١٢٨٣) ﴿لَمَدِينُونَ﴾ لمجزيون، من الدين وهو الجزاء. أو لمسوسون مربوبون. يقال: دانه ساسه. ومنه الحديث: «العاقل من دان نفسه» (١٢٨٤). ﴿قَالَ﴾ يعني ذلك القائل: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى النار لأريكم ذلك القرين. قيل: إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى أهل النار. وقيل: القائل هو الله عزّ وجلّ. وقيل: بعض الملائكة يقول لأهل الجنة: هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار. وقرئ: «مطلعون» فاطلع. وفأطلع بالتشديد، على لفظ الماضي والمضارع المنصوب: ومطلعون فاطلع وفأطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع والمنصوب يقال: طلع علينا فلان، واطلع وأطلع بمعنى واحد، والمعنى: هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضاً. أو عرض عليهم الاطلاع فاعترضوه، فاطلع هو بعد ذلك. وإن جعلت الإطلاع من أطلعه غيره، فالمعنى: أنه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم، وهو من آداب المجالسة. أن لا يستبد بشيء دون جلسائه، فكأنهم مطلعوه. وقيل: الخطاب على هذا للملائكة. وقرئ: «مطلعونِ» بكسر النون، أراد: مطلعون إياي؛ فوضع المتصل موضع المنفصل، كقوله [من الطويل]:

١٢٨٣ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤٩) بمعناه وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥١٨) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر عن عطاء الخرساني بمعناه وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي بمعناه.

١٢٨٤ ـ قال الزيلعي (٣/ ١٧٥)، حديث (١٠٨٥) غريب بهذا اللفظ لكن ورد الحديث بلفظ: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله.

أخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٨) كتاب صفة القيامة باب (٢٥) حديث (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤٢٣) كتاب الزهد: باب ذكر الموت والاستعداد له حديث (٤١٤٣)، وأحمد (٤/ ١٢٤)، والحاكم (١/ ٥٧)، وابن المبارك في «الزهد» (ص ٥٦) رقم (١٧١)، والبيهقي (٣/ ٣٦٩) كتاب الجنائز: باب ما ينبغي لكل مسلم أن يستعمله من قصر الأمل، وفي «شعب الإيمان» (٧/ ٣٥٠) رقم (١٠٥٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٣٤١) رقم (٧١٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٥٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٨٥)، كلهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس مرفوعاً وقال الترمذي: حديث حسن.

وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

وتعقبه الذهبي فقال: لا والله أبو بكر واه.

قال الحافظ: أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم وأحمد والبزار وأبو يعلى والحادث والطبراني كلهم من رواية أبي بكر ابن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس. انتهى.

هُـمُ الْـفَـاعِـلُـونَ الْـخَـيْـرَ وَالآمِـرُونَـهُ ....(١)

أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما، كأنه قال: تطلعون، وهو ضعيف لا يقع إلاّ في الشعر ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ في وسطها، يقال: تعبت حتى انقطع سوائي، وعن أبي عبيدة: قال لي عيسى بن عمر: كنت أكتب يا أبا عبيدة حتى ينقطع سوائي (إن) مخففة من الثقيلة، وهي تدخل على «كاد» كما تدخل على «كان» ونحوه ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ [الفرقان: ٤٢] واللام هي الفارقة بينها وبين النافية، والإرداء: الإهلاك. وفي قراءة عبد الله: لتغوين/ ١٢٨/٢أ ﴿نِعْمَةُ رَبِّى﴾ هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الإسلام، والبراءة من قرين السوء. أو إنعام الله تعالى بالثواب وكونه من أهل الجنة ﴿مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾﴾

الذي عطفت عليه الفاء محذوف، معناه: أنحن مخلدون منعمون، فما نحن بميتين ولا معذبين. وقرئ: «بمائتين». والمعنى أنّ هذه حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم بأعمالهم أن لا يذوقوا إلا الموتة الأولى، بخلاف الكفار، فإنهم يتمنون فيه الموت كل ساعة، وقيل لبعض الحكماء: ما شرّ من الموت؟ قال: الذي يتمنى فيه الموت.

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

يقوله المؤمن تحدثاً بنعمة الله واغتباطاً بحاله وبمسمع من قرينه؛ ليكون توبيخاً له يزيد به تعذباً، وليحكيه الله تعالى فيكون لنا لطفاً وزاجراً. ويجوز أن يكون قولهم جميعاً، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ أي إن هذا الأمر الذي نحن فيه. وقيل: هو من قول الله عزّ وجلّ تقريراً لقولهم وتصديقاً له. وقرئ: «لهو الرزق العظيم»، وهو ما رزقوه من السعادة.

---

(١) هـم الـفـاعـلـون الـخـيـر والآمـرونـه إذا ما خشوا من حادث الدهر معظما
الخير: نصب على المفعولية. ويقال: أمرتك الخير وأمرتك به، فالآمرونه: اسم فاعل متعد للمفعول الثاني بنفسه، وكان حقه الفصل فوصل، وربما كان في البيت أوقع منه في اسم الفاعل المجرد من اللام، وما زائدة: أي إذا خافوا من حادث الدهر أمراً معظماً. ويروى: مفظعاً، أي: مخيفاً فحقه في حرف العين.
ينظر: أمالي ابن الحاجب ١/ ٣٩١، وخزانة الأدب ٤/ ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، والدرر ٦/ ٢٣٥، وشرح المفصل لابن يعيش ٢/ ١٢٥، والكتاب ١/ ١٨٨، ولسان العرب (طلع)، (حين)، (ها) وفيه «مفظعاً» مكان «معظماً»، ومجالس ثعلب ١/ ١٥٠، وهمع الهوامع ٢/ ١٥٧.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾

تمت قصة المؤمن وقرينه، ثم رجع إلى ذكر الرزق المعلوم فقال: ﴿أَذَٰلِكَ﴾ الرزق ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ أي خير حاصلاً ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ وأصل النزل: الفضل والريع في الطعام، يقال: طعام كثير النزل، فاستعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم: اللذة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم: الألم والغمّ، وانتصاب نزلاً على التمييز، ولك أن تجعله حالاً، كما تقول: أثمر النخلة خير بلحاً أم رطباً؟ يعني أنّ الرزق المعلوم نزل أهل الجنة. وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم، فأيهما خير في كونه نزلاً. والنزل: ما يقال[1] للنازل بالمكان من الرزق. ومنه إنزال الجند لأرزاقهم، كما يقال لما يقام لساكن الدار: السكن[2]. ومعنى الأوّل: أنّ للرزق المعلوم نزلاً، ولشجرة الزقوم نزلاً، فأيهما خير نزلاً. ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم، ولكن المؤمنين لما اختاروا ما أدى إلى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما أدى إلى شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخاً على سوء اختيارهم. ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ محنة وعذاباً لهم في الآخرة، أو ابتلاء لهم في الدنيا، وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر، فكذبوا. وقرئ: «نابتة» ﴿فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ قيل: منبتها في قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها: والطلع للنخلة، فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها؛ إما استعارة لفظية، أو معنوية، وشبه برءوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر؛ لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس؛ لاعتقادهم أنه شرّ محض لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صوّره المصورون: جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله، كما أنهم اعتقدوا في المَلَكِ أنه خير محض لا شرّ فيه، فشبهوا به الصورة الحسنة. قال الله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] وهذا تشبيه تخييلي. وقيل: الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدًا. وقيل: إنّ شجراً يقال له الأستن خشناً منتناً مرًا منكر الصورة، يسمى ثمره: رءوس الشياطين. وما سمت العرب هذا الثمر رءوس الشياطين إلاّ قصداً إلى أحد التشبيهين، ولكنه بعد التسمية بذلك

---

(١) قوله: «ما يقال للنازل بالمكان» لعله «ما يقام» كعبارة النسفي. (ع).

(٢) قوله: «لساكن الدار السكن» في الصحاح «السكن»: كل ما سكنت إليه. (ع).

رجع أصلاً ثالثاً يشبه به. ﴿مِنْهَا﴾ من الشجرة، أي من طلعها ﴿فَمَالِئُونَ﴾ بطونهم؛ لما يغلبهم من الجوع الشديد، أو يقسرون على أكلها وإن كرهوها؛ ليكون باباً من العذاب، فإذا شبعوا غلبهم العطش فيسقون شراباً من غساق أو صديد، شوبه: أي مزاجه ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ يشوي وجوههم ويقطع أمعاءهم، كما قال في صفة شراب أهل الجنة: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾ [المطففين: ٢٧] وقرئ: «لشوبًا» بالضم، وهو اسم ما يشاب به، والأوّل تسمية بالمصدر. فإن قلت: ما معنى حرف التراخي في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا﴾ وفي قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾؟ قلت: في الأوّل وجهان، أحدهما: أنهم يملئون البطون من شجرة الزقوم، وهو حارّ يحرق بطونهم ويعطشهم، فلا يسقون إلا بعد مليّ تعذيباً بذلك العطش، ثم يسقون ما هو أحرّ وهو الشراب المشوب بالحميم. والثاني: أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة، ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع، فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه. ومعنى الثاني: أنهم يذهب بهم عن مقارّهم ومنازلهم في الجحيم، وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أن يتملئوا، ويسقون بعد ذلك، ثم يرجعون إلى دركاتهم، ومعنى التر اخي في ذلك بيّن، وقرئ: ثم إن منقلبهم، ثم إن مصيرهم، ثم إن منفذهم إلى الجحيم: علل استحقاقهم/ ٢/١٢٨ب للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين، واتباعهم إياهم على الضلال، وترك اتباع الدليل، والإهراع: الإسراع الشديد، كأنهم يحثون حثًا. وقيل: إسراع فيه شبه بالرعدة.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قومك قريش. ﴿مُّنذِرِينَ﴾ أنبياء حذروهم العواقب. ﴿ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الذين أنذروا وحذروا، أي أهلكوا جميعاً ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ الذين آمنوا منهم وأخلصوا لله دينهم أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

لما ذكر إرسال المنذرين في الأمم الخالية وسوء عاقبة المنذرين، أتبع ذلك بذكر نوح ودعائه إياه حين أيس من قومه، واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف،

والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره: فوالله لنعم المجيبون نحن. والجمع دليل العظمة والكبرياء. والمعنى: إنا أجبناه أحسن الإجابة، وأوصلها إلى مراده وبغيته من نصرته على أعدائه والانتقام منهم بأبلغ ما يكون. ﴿هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ هم الذين بقوا وحدهم وقد فني غيرهم، فقد روي أنه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده. أو هم الذين بقوا متناسلين إلى يوم القيامة. قال قتادة: الناس كلهم من ذرية نوح (١٢٨٥). وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أولاد: سام، وحام، ويافث. فسام أبو العرب، وفارس، والروم، وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب، ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (١٢٨٦). ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨﴾ من الأمم هذه الكلمة، وهي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ يعني يسلمون عليه تسليماً، ويدعون له، وهو من الكلام المحكي، كقولك: قرأت: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١] فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ قلت: معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعاً، وأن لا يخلو أحد منهم منها، كأنه قيل: ثبت الله التسليم على نوح وأدامه في الملائكة والثقلين يسلمون العالمين عليه عن آخرهم. علل مجازاة نوح عليه السلام بتلك التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه إلى آخر الدهر بأنه كان محسناً، ثم علل كونه محسناً بأنه كان عبداً مؤمناً؛ ليريك جلالة محل الإيمان، وأنه القصارى من صفات المدح والتعظيم، ويرغبك في تحصيله والازدياد منه.

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧﴾

﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي ممن شايعه على أصول الدين وإن اختلفت شرائعهما. أو شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين. ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق في أكثر الأشياء. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من أهل دينه وعلى سنته (١٢٨٧)، وما كان

١٢٨٥ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٥٠) عن قتادة: قال: ترك الله عليه ثناء حسناً في الآخرة. وابن جرير الطبري (١٠/٤٩٨)، حديث (٢٩٤٢٤)، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٤)، وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق والطبري وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة: قال: فالناس كلهم من ذرية نوح.

١٢٨٦ ـ أخرجه البزار (١/١١٨ كشف)، حديث (٢١٨) عن أبي هريرة، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٢٤)، وعزاه للبزار وابن أبي حاتم والخطيب، عن أبي هريرة، وذكر فيه: وولد يافث يأجوج ومأجوج: مرفوعاً.

١٢٨٧ ـ ذكر السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٢٥)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس قال من أهل ذريته.

بين نوح وإبراهيم إلاّ نبيان: هود وصالح، وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة. فإن قلت: بم تعلق الظرف؟ قلت: بما في الشيعة من معنى المشايعة، يعني: وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه[1] بقلب سليم لإبراهيم، أو بمحذوف وهو: اذكر ﴿بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ من جميع آفات القلوب. وقيل: من الشرك، ولا معنى للتخصيص؛ لأنه مطلق، فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها. فإن قلت: ما معنى المجيء بقلبه ربه؟ قلت: معناه أنه أخلص لله قلبه، وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلاً لذلك. ﴿أَئِفۡكًا﴾ مفعول له، تقديره: أتريدون آلهة من دون الله إفكاً، وإنما قدّم المفعول على الفعل للعناية، وقدّم المفعول له على المفعول به؛ لأنه كان الأهمّ عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم. ويجوز أن يكون (إفكاً) مفعولاً به، يعني: أتريدون به إفكاً. ثم فسر الإفك بقوله: ﴿آلهة من دون الله﴾ على أنها إفك في أنفسها. ويجوز أن يكون حالاً، بمعنى: أتريدون آلهة من دون الله آفكين ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة؛ لأنّ من كان ربًا للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه، حتى تركتم عبادته إلى عبادة الأصنام: والمعنى: أنه لا يقدر في وهم ولا ظنّ ما يصدّ عن عبادته. أو فما ظنكم به أي شيء هو من الأشياء، حتى جعلتم الأصنام له أنداداً؟ أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره؟.

﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾

﴿فِي ٱلنُّجُومِ﴾ في علم النجوم أو في كتابها أو في أحكامها، وعن بعض الملوك أنه سئل عن مشتهاه، فقال: حبيب أنظر إليه، ومحتاج أنظر له، وكتاب أنظر فيه. كان القوم نجامين، فأوهمهم أنه استدل بأمارة في علم النجوم على أنه يسقم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾﴾ إني مشارف للسقم وهو الطاعون، وكان أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون العدوى؛ ليتفرقوا عنه، فهربوا منه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد، ففعل ٢/
١٢٩أ بالأصنام ما فعل. فإن قلت: كيف جاز له أن يكذب؟ قلت: قد جوّزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية، وإرضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين. والصحيح: أن الكذب حرام إلاّ إذا عرّض وورّى، والذي قاله إبراهيم عليه السلام معراض

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: لا يجوز؛ لأن فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبيٍّ وهو «لِإِبۡرَٰهِيمَ»؛ لأنه أجنبيٌّ من «شِيعَتِهِ» ومن «إِذۡ» وزاد المنعُ إنْ قدره ممن شايعه حين جاء لإبراهيم؛ «لأنه قَدَّر ممن شايعه فجعل العامل قبله صلة لموصول وفَصَلَ بينه وبين إذْ بإجنبي وهو لِإِبۡرَٰهِيمَ» وأيضاً فلام الابتداء تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت إنَّ ضارباً لقادم علينا زيداً تقديره إنَّ زيداً قادم علينا لم يجز، انتهى. الدر المصون.

من الكلام، ولقد نوى به أن من في عنقه الموت سقيم. ومنه المثل: كفى بالسلامة داء. وقول لبيد [من الكامل]:

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِداً لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءُ[1]

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا: مات وهو صحيح، فقال أعرابي: أصحيح مَنْ الموت في عنقه. وقيل: أراد: إني سقيم النفس لكفركم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ فذهب إليها في خفية، من روغة الثعلب، إلى آلهتهم: إلى أصنامهم التي هي في زعمهم آلهة، كقوله تعالى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل:٢٧]. ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ استهزاء بها وبانحطاطها عن حال عبدتها ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ فأقبل عليهم مستخفياً، كأنه قال: فضربهم ﴿ضَرْبًۢا﴾ لأن راغ عليهم بمعنى ضربهم. أو فراغ عليهم يضربهم ضرباً. أو فراغ عليهم ضرباً بمعنى ضارباً. وقرئ: «صفقا» و «سفقا»، ومعناهما: الضرب. ومعنى ضرباً ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾ ضرباً شديداً قويًا؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين وأشدهما. وقيل: بالقوّة والمتانة، وقيل: بسبب الحلف، وهو قوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾.

﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون، من زفيف النعام. ويُزِفون: من أزفّ، إذا دخل في الزفيف. أو من أزفه، إذا حمله على الزفيف، أي: يزفّ بعضهم بعضاً. ويُزَفون، على البناء للمفعول، أي: يحملون على الزفيف. ويَزِفون، من وزف يزف إذا أسرع. ويَزْفون: من زفاه إذا حداه[2]، كأنّ بعضهم يزفو بعضاً لتسارعهم إليه، فإن قلت: بين هذا وبين قوله تعالى:

---

(١) كانت قناتي لا تلين لغامز فألانها الإصباح والإمساء
فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامة داء

للبيد بن ربيعة العامري، والقناة: الرمح، استعارها لإقامته أو قوته على طريق التصريح، والليونة والغمز: ترشيح. والغمزي: الحبى باليد. ويجوز أن الاستعارة تمثيلية في المركب، يصف قوته زمن الشباب، ثم ضعف حال المشيب بتتابع الأزمان عليه، وأنه تطلب فسحة الأجل، فكانت سبب اضمحلاله.

وهو للنمر بن تولب في ملحق ديوانه ص ٤٠٠، وللبيد بن ربيعة في نهاية الأرب ٣/ ٧٠، ولعمرو بن قميئة في ملحق ديوانه ص ٢٠٤، وزهر الآداب ١/ ٢٢٣، ولبعض شعراء الجاهليّة في الكامل ١/ ٢٨٤، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٧٥، وكتاب الصناعتين ص ٣٨، وقبله في هذه المصادر.

(٢) قوله: «إذا حداه» أي ساقه. أفاده الصحاح. (ع).

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَـٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٩ ـ ٦٠] كالتناقض حيث ذكر ههنا أنهم أدبروا عنه خيفة العدوى، فلما أبصروه يكسرهم أقبلوا إليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به، وذكر ثم أنهم سألوا عن الكاسر، حتى قيل لهم: سمعنا إبراهيم يذمهم، فلعله هو الكاسر؛ ففي أحدهما أنهم شاهدوه يكسرها، وفي الآخر: أنهم استدلوا بذمهِ على أنه الكاسر. قلت: فيه وجهان، أحدهما: أن يكون الذين أبصروه وزفوا إليه نفراً منهم دون جمهورهم وكبرائهم، فلما رجع الجمهور والعلية[1] من عيدهم إلى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها لتبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك، وسألوا: من فعل هذا بها؟ ثم لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة، ولكن على سبيل التورية التعريض بقولهم ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ لبعض الصوارف. والثاني: أن يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك أحد، ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر. وقولهم: ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١].

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام، كقوله: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء: ٥٦] أي فطر الأصنام، فإن قلت: كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله معمولاً لهم، حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعاً؟ قلت: هذا كما يقال: عمل النجار الباب[2] والكرسي، وعمل الصائغ السوار والخلخال،

---

(١) قوله: «والعلية» أي العظماء. (ع).

(٢) قال محمود: «يعني خلقكم وما تعملون من الأصنام، كقوله: (بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) فإن قلت: كيف يكون الشيء الواحد مخلوقاً لله تعالى معمولاً لهم؟ وأجاب بأن هذا كما يقال: عمل النجار الباب... إلى أن قال: ... وفي ذلك فك للنظم وتبتير كما لو جعلتها مصدرية» اهـ كلامه. قال أحمد: إذا جاء سيل الله ذهب سيل معقل، فنقول: يتعين حملها على المصدرية، وذلك أنهم لم يعبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة، فلو كان كذلك لم يتعاونوا في تصويرها، ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر، فدل أنهم إنما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التي هي أثر عملهم، ففي الحقيقة أنهم عبدوا عملهم، وصلحت الحجة عليهم بأنهم مثله، مع أن المعبود كسب العابد وعمله، فقد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه، فإذا أثبت ذلك فليتتبع كلامه بالإبطال. أما قوله: إنها موصولة، وأن المراد بعملهم لها عمل أشكالها فمخالف للظاهر، فإنه مفتقر إلى حذف مضاف في موضع اليأس يكون تقديره: والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته، بخلاف توجيه أهل السنة، فإنه غير مفتقر إلى حذف البتة، ثم إذا جعل المعبود نفس الجوهر، فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد، مع موافقته على أن جواهر الأصنام ليست من عملهم؟ فما هو من عملهم =

والمراد عمل أشكال هذه الأشياء وصورها دون جواهرها، والأصنام جواهر وأشكال، فخالق جواهرها الله، وعاملو أشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم بعض أجزائها، حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه. فإن قلت: فما أنكرت[١] أن تكون ما مصدرية لا موصولة، ويكون المعنى: والله خلقكم وعملكم، كما تقول المجبرة[٢]؟ قلت: أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب، أن معنى الآية يأباه إباء جليًا، وينبو عنه نبوًا ظاهراً، وذلك أن الله عزّ وجلّ قد احتج عليهم بأنّ العابد والمعبود جميعاً خلق الله، فكيف يعبد المخلوقُ المخلوقَ؟ على أن العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله، ولولاه لما قدر أن يصوّر نفسه ويشكلها، ولو قلت: والله خلقكم وخلق عملكم ولم يكن محتجاً عليهم[٣] ولا كان لكلامك طباق. وشيء آخر: وهو أن قوله: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ترجمة عن قوله: ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ و (ما) في ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾ موصولة لا مقال فيها، فلا يعدل بها عن أختها إلاّ متعسف متعصب لمذهبه، من غير نظر في علم البيان، ولا تبصر لنظم القرآن. فإن قلت: اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما ألزمت، وأريد: وما تعملونه من أعمالكم. قلت: بل الإلزامان في عنقك لا يفكهما إلاّ الإذعان للحق، وذلك

= وهو الشكل ليس معبوداً لهم على هذا التأويل، وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم، فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد، وعلى ما قررناه يتضح. وأما قوله: إن المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما ينحتون وما يعملون فغير صحيح، فإن لنا أن نحمل الأولى على أنها مصدرية وأنهم في الحقيقة إنما عبدوا نحتهم؛ لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها، فلما عملوا فيها النحت عبدوها، ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم، فالمطابقة إذاً حاصلة، والإلزام على هذا أبلغ وأمتن، ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة، ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافحين لقوله: (والله خلقكم وما تعملون) بأن يقولوا: لا ولا كرامة، ولا يخلق الله ما نعمل نحن، لأنا إنما عملنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله، وكانوا يجدون الذريعة إلى اقتحام الحجة، ويأبى الله إلا أن تكون لنا الحجة البالغة ولهم الأكاذيب الفارغة، فهذا إلزام بل إلجام لمن خالف السنة، وغل بعنقه، وعقر بكتفه، وضرب على يده، حتى يرجع إلى الحق آيبًا، ويعترف بخطئه تائباً.

(١) قوله: «فإن قلت فما أنكرت»؟ لعله: لم أنكرت. (ع).

(٢) قوله: «كما تقول المجبرة» يريد أهل السنة حيث ذهبوا إلى أنه لا خالق إلاّ الله، فهو الخالق لعمل العبد، والمعتزلة يقولون: إن العبد هو الخالق لعمل نفسه، فجعلوا العبد شريكاً لله في الخالقية، مع أنهم سموا أنفسهم أهل العدل والتوحيد، قالوا: لو كان الله هو الخالق لفعل العبد لكان تعذيبه للعبد على المعاصي ظلماً لا عدلاً. قال أهل السنة: يعذبه عليها كما يثيبه على الطاعة؛ لما له فيهما من الكسب والاختيار، فلا ظلم، لكن المعتزلة لم ينظروا في التوحيد تمام النظر، ولم يتبصروا في أدلته تمام التبصر. (ع).

(٣) قوله: «لم يكن محتجاً عليهم» يكفي في الاحتجاج أن الله هو الخالق لهم ولأعمالهم في الأصنام وغيرها، والأصنام لا تخلق شيئاً، بل الانفراد بالخالقية أدل على الانفراد بالإلهية. (ع).

أنك وإن جعلتها موصولة، فإنك في إرادتك بها العمل غير محتج على المشركين، كحالك وقد جعلتها مصدرية، وأيضاً فإنك قاطع بذلك الصلة بين ما تعملون وما تنحتون، حيث تخالف بين المرادين بهما؛ /٢/١٢٩ب فتريد بما تنحتون: الأعيان التي هي الأصنام، وبما تعملون: المعاني التي هي الأعمال؛ وفي ذلك فك النظم وتبتيره، كما إذا جعلتها مصدرية.

﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

﴿ٱلْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة الوقود، وقيل: كل نار على نار وجمر فوق جمر، فهي جحيم. والمعنى: أن الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعاً، وأذلهم بين يديه: أرادوا أن يغلبوه بالحجة فلقنه الله وألهمه ما ألقمهم به الحجر، وقهرهم فمالوا إلى المكر، فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأذلين الأسفلين لم يقدروا عليه.

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾

أراد بذهابه إلى ربه: مهاجرته إلى حيث أمره بالمهاجرة إليه من أرض الشام، كما ﴿قال إني مهاجر إلى ربي﴾ [العنكبوت: ٢٦] ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سيرشدني إلى ما فيه صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني، كما قال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] كأن الله وعده وقال له: سأهديك، فأجرى كلامه على سنن موعد ربه. أو بناء على عادة الله تعالى معه في هدايته وإرشاده. أو أظهر بذلك توكله وتفويضه أمره إلى الله. ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلام: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]. ﴿هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ هب لي بعض الصالحين، يريد الولد؛ لأنّ لفظ الهبة غلب في الولد وإن كان قد جاء في الأخ في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣] قال عزّ وجلّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الأنعام: ٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال علي بن أبي طالب لابن عباس رضي الله عنهم ـ حين هنأه بولده عليّ أبي الأملاك ـ: «شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب» ولذلك وقعت التسمية بهبة الله، وبموهوب، ووهب، وموهب، وقد انطوت البشارة على ثلاث: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ أوان الحلم، وأنه يكون حليماً، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح، فقال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ثم استسلم لذلك. وقيل: ما نعت الله الأنبياء عليهم السلام بأقل مما نعتهم بالحلم؛ وذلك لعزة وجوده، ولقد نعت الله به إبراهيم في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود: ٧٥] لأنّ الحادثة شهدت بحلمهما جميعاً.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

فلما بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه. فإن قلت: ﴿مَعَهُ﴾ بم يتعلق؟ قلت: لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ، أو بالسعي، أو بمحذوف، فلا يصح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معاً حدّ السعي، ولا بالسعي لأنّ صلة المصدر لا تتقدم عليه، فبقي أن يكون بياناً، كأنه لما قال: فلما بلغ السعي أي الحدّ الذي يقدر فيه على السعي قيل: مع من؟ فقال مع أبيه. والمعنى في اختصاص الأب أنه أرفق الناس به، وأعطفهم عليه، وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله؛ لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده، وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة. والمراد: أنه على غضاضة سنه وتقلبه في حدّ الطفولة، كان فيه من رصانة الحلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والإجابة بذلك الجواب الحكيم، أتي في المنام فقيل له: اذبح ابنك، ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة؛ فلهذا قال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ فذكر تأويل الرؤيا، كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب في سفينة: رأيت في المنام أني ناج من هذه المحنة، وقيل: رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إنّ الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح روّى في ذلك من الصباح إلى الرواح، أمن الله هذا الحلم أو من الشيطان؟ فمن ثم سمي يوم التروية، فلما أمسى رأى مثل ذلك، فعرف أنه من الله، فمن ثم سُمي يوم عرفة، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهم بنحره فسمي يوم النحر. وقيل: إنّ الملائكة حين بشّرته بغلام حليم قال: هو إذن ذبيح الله. فلما ولد وبلغ حدّ السعي معه قيل له: أوف بنذرك ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي على وجه المشاورة. وقرئ: «ماذا ترى»[1]، أي: ماذا تبصر من رأيك وتبديه. وماذا ترى، على البناء للمفعول: أي: ماذا تريك نفسك من الرأي ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ أي ما تؤمر به، فحذف الجار كما حذف من قوله [من البسيط]:

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ ....[2]

أو أمرك على إضافة المصدر إلى المفعول، وتسمية المأمور به أمراً. وقرئ: «ما تؤمر به» فإن قلت: لم شاوره في أمر هو حتم من الله؟ قلت: لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته، ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله؛ فيثبت قدمه ويصبره إن جزع، ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلم؛ وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها، ويلقى

---

(١) قوله: «وقرئ ماذا ترى» لعله بضم التاء وكسر الراء، من أراه يريه، فليحرر. (ع).
(٢) تقدم.

البلاء وهو/ ٢/ ١٣٠أ كالمستأنس به، ويكتسب المثوبة بالانقياد لأمر الله قبل نزوله؛ ولأن المغافصة[1] بالذبح مما يستسمج، وليكون سنة في المشاورة، فقد قيل: لو شاور آدم الملائكة في أكله من الشجرة لما فرط منه ذلك. فإن قلت: لم كان ذلك بالمنام دون اليقظة؟ قلت: كما أري يوسف عليه السلام سجود أبويه وإخوته له في المنام من غير وحي إلى أبيه، وكما وُعِدَ رسول الله ﷺ دخول المسجد الحرام في المنام، وما سوى ذلك من منامات الأنبياء؛ وذلك لتقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين؛ لأنّ الحال إما حال يقظة أو حال منام، فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفرادْ أحدهما.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾

يقال: سلم لأمر الله وأسلم، واستسلم بمعنى واحد. وقد قرئ بهنّ جميعاً إذا انقاد له وخضع، وأصلها من قولك: سلم هذا لفلان إذا خلص له. ومعناه: سلم من أن ينازع فيه، وقولهم: سلم لأمر الله وأسلم له منقولان منه، وحقيقة معناهما: أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة، وكذلك معنى: استسلم: استخلص نفسه لله. وعن قتادة في: ﴿أَسْلَمَا﴾ أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (١٢٨٨) ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ صرعه على شقه، فوقع أحد جبينيه على الأرض، تواضعا[2] على مباشرة الأمر بصبر وجلد، ؛ليرضيا الرحمٰن ويخزيا الشيطان. وروي أن ذلك كان عند الصخرة التي بمنى، وعن الحسن: في الموضع المشرف على مسجد منىً. وعن الضحاك: في المنحر الذي ينحر فيه اليوم. فإن قلت: أين جواب لما؟ قلت: هو محذوف تقديره: فلما أسلما وتله للجبين ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما، وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما، من دفع البلاء العظيم بعد حلوله، وما اكتسبا في تضاعيفه بتوطين الأنفس عليه من الثواب والأعواض

١٢٨٨ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٠٨)، حديث (٢٩٤٨١).

---

(١) قوله: «المغافصة» في الصحاح: غافصت الرجل، أي: أخذته على غرة. (ع).
(٢) قوله: «تواضعا على مباشرة الأمر» أي توفقا. (ع).

ورضوان الله الذي ليس وراءه مطلوب، وقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾ تعليل لتخويل ما خوّلهما من الفرج بعد الشدّة، والظفر بالبغية بعد اليأس ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم. أو المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها. الذبح: اسم ما يذبح. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو الكبش الذي قرّبه هابيل فقبل منه، وكان يرعى في الجنة حتى فدي به إسماعيل (١٢٨٩). وعن الحسن: فدي بوعل[1] أهبط عليه من ثبير (١٢٩٠). وعن ابن عباس: لو تمت تلك الذبيحة لكانت سنة وذبح الناس أبناءهم (١٢٩١) ﴿عظيم﴾ ضخم الجثة سمين، وهي السنة في الأضاحي. وقوله عليه السلام: «استشرفوا ضحاياكم فإنها على الصراط مطاياكم» (١٢٩٢) وقيل: لأنه وقع فداء عن ولد إبراهيم. وروي أنه هرب من إبراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه، فبقيت سنة في الرمي، وروي أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده. وروي أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلاّ الله والله أكبر، فقال إبراهيم عليه السلام: الله أكبر ولله الحمد، فبقي سنة، وحكي في قصة الذبيح أنه حين أراد ذبحه قال: يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا إلى الشعب نحتطب، فلما توسط شعب ثبير أخبره بما أمر. فقال له اشدد رباطي لا أضطرب، واكفف عني ثيابك لا ينتضح عليها شيء من دمي فينقص أجري وتراه أمي فتحزن، واشحذ شفرتك وأسرع إمرارها على حلقي حتى تجهز عليّ؛ ليكون أهون فإنّ الموت شديد، واقرأ على أمي سلامي، وإن رأيت أن تردّ قميصي على أمي فافعل؛ فإنه عسى أن يكون أسهل لها، فقال إبراهيم عليه السلام: نعم العون أنت يا بنيّ على أمر الله، ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه، وهما يبكيان، ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل؛ لأنّ الله ضرب صفيحة من نحاس على حلقه، فقال له: كبني على وجهي فإنك إذا نظرت وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله، ففعل، ثم وضع السكين على قفاه

١٢٨٩ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٣٤)، وعزاه لابن أبي شيبة والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

١٢٩٠ ـ أخرجه الطبري (٥١٦/١٠)، حديث (٢٩٥٤٩) عن الحسن بلفظ ما فدى إسماعيل إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير.

١٢٩١ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف، حديث (١٧٦/٣)، حديث (١٠٨٦) وقال الحافظ: لم أجده.

١٢٩٢ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (١٧٦/٣)، حديث (١٠٨٧) وقال: غريب.

وأخرجه الديلمي في الفردوس (١/ ١١٩)، حديث (٢٦٧) عن ابن عباس. وقال الحافظ: لم أجده.

---

(١) قوله: «بوعل» في الصحاح: الوعل: الأروى اهـ، ويقال: التيس الجبلي. (ع).

فانقلب السكين، ونودي: يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا، فنظر فإذا جبريل عليه السلام معه كبش أقرن أملح، فكبر جبريل والكبش، وإبراهيم وابنه، وأتى المنحر من منى فذبحه. وقيل: لما وصل موضع السجود منه إلى الأرض جاء الفرج. وقد استشهد أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده: أنه يلزمه ذبح شاة، فإن قلت: من كان الذبيح من ولديه؟ قلت: قد اختلف فيه؛ فعن ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين: أنه إسماعيل. والحجة فيه: أنّ رسول الله ﷺ قال: «أنا ابن الذبيحين (١٢٩٣)» وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين، فتبسم، فسئل عن ذلك فقال: «إنّ عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله: لئن سهل الله له أمرها ليذبحنّ أحد ولده، فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا له: افد ابنك بمائة من الإبل، ففداه بمائة من الإبل، والثاني إسماعيل» (١٢٩٤) وعن محمد بن كعب القرظي قال: كان مجتهد بني إسرائيل يقول إذا دعا: اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل، فقال موسى عليه السلام: يا رب، ما لمجتهد بني إسرائيل إذا دعا قال: اللهم إله إبراهيم وإسماعيل وإسرائيل، وأنا بين ٢/ ١٣٠ب أظهرهم، فقد أسمعتني كلامك واصطفيتني برسالتك؟ قال: يا موسى، لم يحبني أحد حبّ إبراهيم قط، ولا خُيِّرَ بيني وبين شيء قط إلا اختارني. وأمّا إسماعيل فإنه جاد بدم نفسه. وأمّا إسرائيل فإنه لم ييأس من روحي في شدّة نزلت به قط (١٢٩٥)، ويدل عليه أنّ الله تعالى لما أتمّ قصة الذبيح قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا﴾ [الصافات: ١١٢] وعن محمد بن كعب أنه قال لعمر بن عبد العزيز: هو إسماعيل، فقال عمر: إنّ هذا شيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى يهودي قد أسلم فسأله. فقال: إن اليهود لتعلم أنه إسماعيل، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب (١٢٩٦)، ويدل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت. وعن الأصمعي قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال: يا أصمعي أين عزب عنك

١٢٩٣ ـ ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/ ١٧٧)، حديث (١٠٨٩) وقال: غريب، وبيض له ابن حجر.

١٢٩٤ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٤) في كتاب التاريخ والطبري (١٠/ ٥١٤)، حديث (٢٩٥٣٠)، وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٧٨)، حديث (١٠٩٠) وزاد نسبته لابن مردويه. قال الحافظ: أخرجه الحاكم والثعلبي من رواية الضابحي عن معاوية رضي الله عنه وفيه قصة انتهى. ط

١٢٩٥ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥١١)، حديث (٢٩٥٠٠) عن عبد الله بن عمير قال موسى: يا رب يقولون إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب. . .

١٢٩٦ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥١٤ جامع البيان)، حديث (٢٩٥٢٩)، وذكره السيوطي في تفسيره الدر (٥/ ٥٣٠) وعزاه لابن إسحاق، وابن جرير.

عقلك؟ ومتى كان إسحاق؟ بمكة، وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه، والمنحر بمكة، ومما يدلّ عليه أنّ الله تعالى وصفه بالصبر دون أخيه إسحاق في قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥] وهو صبره على الذبح، ووصفه بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] لأنه وعد أباه الصبر من نفسه على الذبح فوفى به، ولأنّ الله بشّره بإسحاق وولده يعقوب في قوله: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فلو كان الذبيح إسحاق لكان خلفاً للموعد في يعقوب، وعن علي بن أبي طالب (١٢٩٧) وابن مسعود (١٢٩٨) والعباس (١٢٩٩) وعطاء وعكرمة (١٣٠٠) وجماعة من التابعين: أنه إسحاق. والحجة فيه أن الله تعالى أخبر عن خليله إبراهيم حين هاجر إلى الشام بأنه استوهبه ولداً، ثم أتبع ذلك البشارة بغلام حليم، ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به. ويدلّ عليه كتاب يعقوب إلى يوسف: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله (١٣٠١). فإن قلت: قد أوحى إلى إبراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح، وقيل له: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، وإنما كان يصدقها لو صحّ منه الذبح، ولم يصحّ[(١)] قلت:

١٢٩٧ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٥٢)، وسعيد بن منصور، وذكره السيوطي (٥/ ٥٣١) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر عن علي.

١٢٩٨ ـ أخرجه عبد الرزاق (٢/ ١٥٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٩)، وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) وعزاه لعبد الزراق والحاكم عن ابن مسعود.

١٢٩٩ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥١٠)، حديث (٢٩٤٩١)، (٢٩٤٩٥) وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) وعزاه لعبد بن حميد، والبخاري في تاريخه والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مرديه عن العباس.

١٣٠٠ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥١٠)، حديث (٢٩٤٩٣) عن عكرمة عن ابن عباس والحاكم (٢/ ٥٥٨): كتاب التاريخ.
وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٥٣١) للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد والطبري والحاكم.

١٣٠١ ـ قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف»: أخرجه الترمذي في النوادر في الحادي والعشرين بعد المائتين: حدثنا عمر بن أبي عمر حدثنا عصام بن المثنى الحمصي عن أبيه عن وهب بن منبه قال: كتب يعقوب كتاباً فيه بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب نبي الله إلى آخره وأخرج الدارقطني في غرائب مالك من رواية إسحاق بن وهب الطوسي عن ابن وهب عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه: أوحى إلى ملك الموت أن ائت يعقوب فسلم عليه فذكر الحديث ـ وفيه فقال: اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر أما بعد فإنا أهل بيت فذكره مطولاً قال الدارقطني: هذا موضوع وإسحاق يضع الحديث على ابن وهب وقد تقدم في يوسف من وجه آخر، انتهى.

---

(١) قال محمود: «فإن قلت: قد أوحى إلى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده ولم يذبح، وقيل له: قد =

قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح: من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه، وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم عليه السلام، ألا ترى أنه لا يسمى عاصياً ولا مفرطاً، بل يسمى مطيعاً ومجتهداً، كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم، وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل، ولا قبل أوان الفعل في شيء، كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه. فإن قلت: الله تعالى هو المفتدى منه؛ لأنه الآمر بالذبح، فكيف يكون فادياً حتى قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾؟ قلت: الفادي هو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والله عزّ وجلّ وهب له الكبش ليفدي به وإنما قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ إسناداً للفداء إلى السبب الذي هو الممكن من الفداء بهبته. فإن قلت: فإذا كان ما أتى به إبراهيم من البطح وإمرار الشفرة في حكم الذبح. فما معنى الفداء، والفداء إنما هو التخليص من الذبح ببدل؟ قلت: قد علم بمنع الله أن حقيقة الذبح لم تحصل من فري الأوداج وإنهار الدم، فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك الحقيقة في نفس إسماعيل، ولكن في نفس الكبش بدلاً منه. فإن قلت: فأي فائدة في تحصيل تلك الحقيقة، وقد استغنى عنها بقيام ما وجد من إبراهيم مقام الذبح من غير نقصان؟ قلت: الفائدة في ذلك أن يوجد ما منع منه في بدله حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وإيجاد المأمور به من كل وجه. فإن قلت: لم قيل

= صدقت الرؤيا، وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح، ولم يصح. فأجاب بأنه قد بذل وسعه وفعل ما يفعله الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، ولكن الله سبحانه منع الشفرة أن تمضي فيه، وهذا لا يقدح في فعل إبراهيم، الا ترى أنه لا يسمى عاصياً ولا مفرطاً بل يسمى مطيعاً ومجتهداً، كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم، وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شيء، كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام عليه. انتهى كلامه» قال أحمد: كل ما ذكر دندنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل، وتلك قاعدة المعتزلة. وأما أهل السنة فيثبتون جوازه؛ لأن التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل، فجاز رفعه كالموت. وأيضاً فكل نسخ كذلك؛ لأن القدرة على الفعل عندنا مقارنة لا متقدمة، ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية. ووجه الدليل منها أن إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل (افعل ما تؤمر) ونسخ قبل التمكن بدليل العدول إلى الفداء، فمن ثم تحوم الزمخشري على أنه فعل غاية وسعه من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، وإنما امتنعت بأمر من الله تعالى، وغرضه بذلك أحد أمرين: إما أن يكون الأمر إنما توجه عليه بمقدمات الذبح، وقد حصلت لا بنفس الذبح، أو توجه الأمر بنفس الذبح وتعاطيه، ولكن لم يتمكن. وكلا الأمرين لا يخلصه. أما قوله: أمر بمقدمات الذبح فباطل بقوله: (إني أرى في المنام أني أذبحك) وقوله: (افعل ما تؤمر) وأما قوله: لم يتمكن لأن الشفر منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الأمر بالذبح، فحاصله أنه لم يتمكن من الذبح المأمور به، فكان النسخ إذاً قبل التمكن، وهو عين ما أنكره المعتزلة، ولما لم يكن في هذين الجوابين لهم خلاص لجأ بعضهم إلى تسليم أنه أمر بالذبح، ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم، وهو باطل لا ثبوت له، وسياق الآية يخل دعواه ويفل ثنياه.

ههنا ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ وفي غيرها من القصص: إنا كذلك؟ قلت: قد سبقه في هذه القصة: ﴿إنا كذلك﴾، فكأنما استخف بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية.

﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة، كقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. فإن قلت: فرق بين هذا وبين قوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ وذلك أنّ المدخول موجود مع وجود الدخول، والخلود غير موجود معهما، فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيماً، وليس كذلك المبشر به، فإنه معدوم وقت وجود البشارة، وعدم المبشر به فإنه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لا محالة؛ لأنّ الحال حلية، والحلية لا تقوم إلا بالمحلى، وهذا المبشر به الذي هو إسحاق حين وجد لن توجد النبوّة أيضاً بوجوده، بل تراخت عنه مدّة متطاولة، فكيف يجعل نبيًا حالاً مقدّرة، والحال صفة الفاعل أو المفعول عند وجود الفعل منه أو به؛ فالخلود وإن لم يكن صفتهم عند دخول الجنة، فتقديرها[1] صفتهم؛ لأنّ المعنى مقدّرين الخلود، وليس كذلك النبوّة؛ فإنه لا سبيل إلى أن تكون موجودة أو مقدّرة وقت وجود البشارة بإسحاق لعدم إسحاق. قلت/ ٢/ ١٣١أ: هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك، والذي يحل الإشكال: أنه لا بدّ من تقدير مضاف محذوف، وذلك قولك: وبشرناه بوجود إسحاق نبيًا، أي بأن يوجد مقدّرة نبوّته؛ فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة، وبذلك يرجع، نظير قوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] ﴿مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ حال ثانية، وورودها على سبيل الثناء والتقريظ؛ لأنّ كل نبي لا بدّ أن يكون من الصالحين. وعن قتادة: بشره الله بنبوّة إسحاق بعد ما امتحنه بذبحه (١٣٠٢)، وهذا جواب من يقول: الذبيح إسحاق لصاحبه عن تعلقه بقوله: ﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ﴾ قالوا: ولا يجوز أن يبشره الله بمولده ونبوّته معاً؛ لأن الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبيًا ﴿وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ﴾ وقرئ: «وبرَكْنا» أي: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا، كقوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧] وقيل: باركنا على إبراهيم في أولاده، وعلى إسحاق بأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه. وقوله: ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ نظيره: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى

١٣٠٢ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥١٨)، حديث (٢٩٥٥٦).

---

(١) قوله: «فتقديرها صفتهم» لعله: فتقديره. (ع).

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤] وفيه تنبيه على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر، فقد يلد البر الفاجر، والفاجر البر. وهذا مما يهدم أمر الطبائع والعناصر، وعلى أن الظلم في أعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة، وأنّ المرء يعاب بسوء فعله ويعاتب على ما اجترحت يداه، لا على ما وجد من أصله أو فرعه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ من الغرق. أو من سلطان فرعون وقومه وغشمهم[1]. ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ الضمير لهما ولقومهما في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾. ﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ البليغ في بيانه وهو التوراة، كما قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال: ومن جوز أن تكون التوراة عربية أن تشتق[2] من ورى الزند «فوعلة» منه، على أنّ التاء مبدلة من واو. ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ صراط أهل الإسلام، وهي صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

قرئ: «إلياس» بكسر الهمزة، والياس: على لفظ الوصل. وقيل: هو إدريس النبي. وقرأ ابن مسعود: «وإنّ إدريس»، في موضع إلياس. وقرئ: «إدراس»، وقيل: هو إلياس بن ياسين، من ولد هارون أخي موسى ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أتعبدون بعلاً، وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل. وقيل: كان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعاً، وله أربعة أوجه، فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن، وجعلوهم أنبياءه، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة، والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس، وهم أهل بعلبك

---

(١) قوله: «وغشمهم» في الصحاح «الغشم»: الظلم. (ع).
(٢) قوله: «أن تشتق» لعله: يجوز أن تشتق. (ع).

من بلاد الشام، وبه سميت مدينتهم بعلبك. وقيل: البعل: الرب، بلغة اليمن، يقال: من بعل هذه الدار، أي: من ربها؟ والمعنى: أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ﴾ قرئ: بالرفع على الابتداء، وبالنصب على البدل، وكان حمزة إذا وصل نصب، وإذا وقف رفع، وقرئ: على الياسين، وإدريسين. وإدراسين. وإدرسين، على أنها لغات في إلياس وإدريس. ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى. وقرئ: «على الياسين» بالوصل، على أنه جمع يراد به إلياس وقومه، كقولهم: الخبيبون والمهلبون. فإن قلت: فهلا حملت على هذا إلياسين على القطع وأخواته؟ قلت: لو كان جمعاً لعرف بالألف واللام. وأما من قرأ: «على آل ياسين» فعلى أنّ ياسين اسم أبي إلياس، أضيف إليه الآل.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

﴿مُّصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح، يعني: تمرون على منازلهم في متاجركم إلى الشام ليلاً ونهاراً، فما فيكم عقول تعتبرون بها.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

قرئ: «يونس» بضم النون وكسرها. وسمي هربه من قومه بغير إذن ربه: إباقا على طريقة المجاز. والمساهمة: المقارعة. ويقال: استهم القوم، إذا اقترعوا. والمدحض: المغلوب المقروع. وحقيقته: المزلق/٢/ ١٣١ب عن مقام الظفر والغلبة. روي: أنه حين ركب في السفينة وقفت، فقالوا: ههنا عبد أبق من سيده، وفيما يزعم البحارون أنّ السفينة إذا كان فيها آبق لم تجر، فاقترعوا، فخرجت القرعة على يونس، فقال: أنا الآبق، وزجّ بنفسه في الماء ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾﴾ داخل في الملامة. يقال: رب لائم مليم، أي يلوم غيره وهو أحقّ منه باللوم. وقرئ: «مليم» بفتح الميم، من ليم فهو مليم، كما جاء: مشيب في مشوب، مبنيًا على شيب. ونحوه: مدعي، بناء على دعي. ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح والتقديس. وقيل: هو قوله في بطن الحوت ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقيل: من المصلين. وعن ابن عباس:

كل تسبيح في القرآن فهو صلاة (١٣٠٣). وعن قتادة: كان كثير الصلاة في الرخاء (١٣٠٤). قال: وكان يقال: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، وإذا صرع وجد متكأً. وهذا ترغيب من الله عزّ وجلّ في إكثار المؤمن من ذكره بما هو أهله، وإقباله على عبادته، وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة؛ لينفعه ذلك عنده تعالى في المضايق والشدائد ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ﴾ الظاهر لبثه فيه حيًا إلى يوم البعث. وعن قتادة: لكان بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة (١٣٠٥). وروي أنه حين ابتلعه أوحى الله إلى الحوت: إني جعلت بطنك له سجناً، ولم أجعله لك طعاماً. واختلف في مقدار لبثه، فعن الكلبي: أربعون يوماً، وعن الضحاك: عشرون يوماً. وعن عطاء: سبعة. وعن بعضهم: ثلاثة. وعن الحسن: لم يلبث إلاّ قليلاً، ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه. وروي: أنّ الحوت سار مع السفينة رافعاً رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح، ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر، فلفظه سالماً لم يتغير منه شيء، فأسلموا، وروي: أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل. والعراء: المكان الخالي لا شجر فيه ولا شيء يغطيه ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ اعتلّ مما حلّ به، وروي: أنه عاد بدنه كبدن الصبيّ حين يولد. واليقطين: كل ما ينسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل، وهو «يفعيل» من قطن بالمكان إذا قام به. وقيل: هو الدباء. وفائدة الدباء: أن الذباب لا يجتمع عنده ـ وقيل لرسول الله ﷺ: إنك لتحب القرع، قال: «أجل هي شجرة أخي يونس» (١٣٠٦) وقيل: هي التين، وقيل: شجرة الموز، تغطى بورقها، واستظلّ بأغصانها، وأفطر على ثمارها. وقيل: كان يستظلّ بالشجرة وكانت وعلة[1] تختلف إليه، فيشرب من لبنها.

١٣٠٣ ـ أخرجه الطبري (٩/ ٢٠٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٨٢) في تفسيره: «بالعشي والإبكار» عن قتادة، وذكره الزيلعي (٣/ ١٨٠) حديث (١٠٩٢)، وزاد نسبه إلى ابن مردويه، قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الطبري وابن مردويه من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ قوله ورواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة موقوفاً، انتهى.

١٣٠٤ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٢٧)، حديث (٢٩٥٩٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٤٣)، وعزاه لأحمد وابن أبي حاتم والطبري عن الحسن. . . فذكر ذلك لقتادة قال: «لا، إنما كان يعمل في الرخاء».

١٣٠٥ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٥٢٧)، حديث (٢٩٥٩٩) مختصراً وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٤٤) وعزاه لعبد بن حميد، والطبري، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

١٣٠٦ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/ ١٨١) وقال: غريب وعزاه لابن مردويه بنحوه.
وقال الحافظ: لم أجده، وأخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود في قصة يونس قال عبد الله: قال النبي ﷺ ـ واليقطين القرع. انتهى.

(١) قوله: «وكانت وعلة يقال: هي شاة جبلية. (ع).

وروي: أنه مرّ زمان على الشجرة فيبست، فبكى جزعاً، فأوحى الله إليه: بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف في يد الكافر، فإن قلت: ما معنى ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً﴾؟ قلت: أنبتناها فوقه مظلة له؛ كما يطنب البيت على الإنسان ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾ المراد به ما سبق من إرساله إلى قومه وهم أهل نينوى. وقيل: هو إرسال ثان بعد ما جرى عليه إلى الأولين، أو إلى غيرهم. وقيل: أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى؛ لأنّ النبيّ إذا هاجر عن قومه لم يرجع إليهم مقيماً فيهم، وقال لهم: إن الله باعث إليكم نبيًا ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ في مرأى الناظر؛ أي: إذا رآها الرائي قال: هي مائة ألف أو أكثر، والغرض: الوصف بالكثرة ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ إلى أجل مسمى، وقرئ: «ويزيدون» بالواو، و«حتى حين».

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾ معطوف على مثله في أوّل السورة، وإن تباعدت بينهما المسافة، أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أوّلاً، ثم ساق الكلام موصولاً بعضه ببعض، ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى التي قسموها؛ حيث جعلوا لله الإناث ولأنفسهم الذكور في قولهم: الملائكة بنات الله، مع كراهتهم الشديدة لهنّ، وَأْدِهِنَّ، واستنكافهم من ذكرهنّ. ولقد ارتكبوا في ذلك ثلاثة أنواع من الكفر، أحدها: التجسيم؛ لأن الولادة مختصة بالأجسام، والثاني: تفضيل أنفسهم على ربهم حين جعلوا أوضع الجنسين له وأرفعهما لهم، كما قال: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف: ١٧]، ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٨]، والثالث: أنهم استهانوا بأكرم خلق الله عليه وأقربهم إليه، حيث أنثوهم، ولو قيل لأقلهم وأدناهم: فيك أنوثة، أو شكلك شكل النساء، للبس لقائله جلد النمر، ولانقلبت حماليقه[1]، وذلك في أهاجيهم بين مكشوف، فكرّر الله سبحانه الأنواع/ ٢/ ١٣٢أ كلها في كتابه مرّات، ودلّ على فظاعتها في آيات: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٨٩]، ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

---

(١) قوله: «ولانقلبت حماليقه» في الصحاح «حملاق العين»: باطن أجفانها الذي يسوده الكحل، اهـ. (ع).

[الأنبياء: ٢٦]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦]، ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ﴾ [الصافات: ١٥١ ـ ١٥٢]، ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [النحل: ٥٧]، ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الطور: ٣٩]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢]، ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الصافات: ١٥٣]، ﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الزخرف: ١٦]، ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف: ١٩]. ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾. فإن قلت: لم قال: ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ فخصّ علم المشاهدة؟ قلت: ما هو إلا استهزاء بهم وتجهيل لهم، وكذلك قوله: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩] ونحوه قوله: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١] وذلك أنهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة، لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم. ولا بإخبار صادق، ولا بطريق استدلال ونظر. ويجوز أن يكون المعنى: أنهم يقولون ذلك، كالقائل قولاً عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لإفراط جهلهم، كأنهم قد شاهدوا خلقهم. وقرئ: «ولد الله» أي الملائكة ولده. والولد «فعل» بمعنى مفعول، يقع على الواحد والجمع، والمذكر والمؤنث. تقول: هذه ولدي، وهؤلاء ولدي. فإن قلت: ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ بفتح الهمزة: استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد، فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات؟ قلت: جعله من كلام الكفرة بدلاً عن قولهم: ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾، وقد قرأ بها حمزة والأعمش رضي الله عنهما. وهذه القراءة ـ وإن كان هذا محملها ـ فهي ضعيفة، والذي أضعفها: أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها، وذلك قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾. ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾؟ فمن جعلها للإثبات، فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين[1]. وقرئ: «تَذْكُرُونَ» من ذَكَرَ. ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ﴾ أي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله، ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم في ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الروم: ٣٥] وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم، وإنكار فظيع، واستبعاد لأقاويلهم شديد؛ وما الأساليب التي وردت عليها إلاّ ناطقة بتسفيه أحلام قريش، وتجهيل نفوسها، واستركاك عقولها، مع استهزاء وتهكم وتعجيب، من أن يخطر مخطر مثل ذلك على بالٍ ويحدّث به نفساً؛ فضلاً أن يجعله

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وليست دخيلة بين نسبتين؛ لأن لها مناسبة ظاهرة مع قولهم: «ولد الله» فأما قوله: «وإنهم لكاذبون» فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفرة جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم. ونقل أبو البقاء: أنه قرئ «اصطفى» بالمد، قال: وهو بعيد جدًا. انتهى. الدر المصون.

معتقداً ويتظاهر به مذهباً.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾

﴿وَجَعَلُوا۟﴾ بين الله وبين الجنة وأراد الملائكة ﴿نَسَبًا﴾ وهو زعمهم أنهم بناته، والمعنى: جعلوا بما قالوا: نسبة بين الله وبينهم، وأثبتوا له بذلك جنسية جامعة له وللملائكة. فإن قلت: لم سمى الملائكة جنة؟ قلت: قالوا: الجنس واحد، ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرًّا كله فهو شيطان، ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً كله فهو ملك؛ فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم، وإنما ذكرهم بهذا الاسم وضعاً منهم وتقصيراً بهم. وإن كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم. وفيه إشارة إلى أن من صفته الاجتنان والاستتار ـ وهو من صفات الأجرام ـ لا يصلح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك. ومثاله: أن تسوّي بين الملك وبين بعض خواصه ومقرّبيه، فيقول لك: أتسوّى بيني وبين عبدي؟ وإذا ذكره في غير هذا المقام وقّره وكناه. والضمير في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ للكفرة. والمعنى: أنهم يقولون ما يقولون في الملائكة، وقد علم الملائكة أنهم في ذلك كاذبون مفترون، وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون، والمراد المبالغة في التكذيب؟ حيث أضيف إلى علم الذين ادّعوا لهم تلك النسبة. وقيل: قالوا إنّ الله صاهر الجن فخرجت الملائكة. وقيل: قالوا: إن الله والشيطان أخوان.

وعن الحسن: أشركوا الجن في طاعة الله. ويجوز إذا فسر الجنة بالشياطين أن يكون الضمير في ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ لهم، والمعنى أن الشياطين عالمون بأنّ الله يحضرهم النار ويعذّبهم، ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوب الطاعة لما عذّبهم ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع من المحضرين، معناه: ولكن المخلصين ناجون. وسبحان الله: اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه. ويجوز أن يقع الاستثناء من الواو في يصفون، أي: يصفه هؤلاء بذلك، ولكن المخلصون برآء من أن يصفوه به.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

والضمير في ﴿عَلَيْهِ﴾ لله عزّ وجلّ: ومعناه: فإنكم ومعبوديكم ما أنتم وهم جميعاً بفاتنين على الله إلاّ أصحاب النار الذين سبق في علمه أنهم لسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها. فإن قلت: كيف يفتنونهم/ ٢/ ١٣٢ب على الله؟ قلت: يفسدونهم عليه بإغوائهم واستهزائهم، من قولك: فتن فلان على فلان امرأته، كما تقول: أفسدها عليه وخيبها

عليه. ويجوز أن يكون الواو في ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ بمعنى مع، مثلها في قولهم: كل رجل وضيعته، فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته، وأنّ كل رجل وضيعته، جاز أن يسكت على قوله: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾﴾، لأن قوله: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ سادّ مسدّ الخبر؛ لأن معناه: فإنكم مع ما تعبدون. والمعنى: فإنكم مع آلهتكم، أي: فإنكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها، ثم قال: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما تعبدون ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ بباعثين أو حاملين على طريق الفتنة والإضلال ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ﴾ ضال مثلكم. أو يكون في أسلوب قوله [من الوافر]:

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابُ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الأَدِيمُ[1]

وقرأ الحسن «صالُ الجحيم» بضم اللام. وفيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن يكون جمعاً، وسقوط واوه لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف. فإن قلت: كيف استقام الجمع مع قوله: ﴿مَنْ هُوَ﴾؟ قلت: من موحد اللفظ مجموع المعنى، فحمل هو على لفظه، والصالون على معناه، كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة. والثاني: أن يكون أصله صائل على القلب، ثم يقال: صال في صائل، كقولهم: شاك في شائك. والثالث: أن تحذف لام صال تخفيفاً ويجري الإعراب على عينه، كما حذف من قولهم: ما باليت به بالة، وأصلها بالية من بالى، كعافية من عافى. ونظيره قراءة من قرأ: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٥٤]، ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَآتُ﴾ [الرحمٰن: ٢٤] بإجراء الإعراب على العين.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

﴿وَمَا مِنَّآ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه، كقوله [من الوافر]:

أَنَا ابْنُ جَلاَ وَطَلاَّعُ الثَّنَايَا ....[2]

* * *

(١) لعمرو بن العاص. وقيل للوليد بن عقبة بن أبي معيط، يحرض معاوية على حرب علي بن أبي طالب، وحلم الجلد حلماً، كتعب تعباً: إذا فسد ودوّد وتنقب. وحلم بالضم، حلماً بالكسر: عفى مع القدرة. وحلم بالفتح، حلماً بالضم: رأى في منامه شيئاً. يقول: فإنك وكتابك الواصل إلى علي ترجو به استقامته كرجل كثير الدبغ للجلد، أو كامرأة دابغة له، والحال أنه قد فسد ولم ينفع فيه الدبغ. والمقصود: تشبيه حالة بأخرى. ويجوز أن الواو للمعية لا للعطف، فالمعنى تشبيه معاوية بالدابغة.
ينظر: البحر (٢/ ١٨٥)، (اللسان) (حلم)، الدر المصون (١(٥٥٠).

(٢) تقدم.

[ومن الرجز]:

....   بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرْ[1]

مقام معلوم في العبادة، والانتهاء إلى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه، كما روي: فمنهم راكع لا يقيم صلبه، وساجد لا يرفع رأسه ﴿لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ﴾ نَصُفُّ أقدامنا في الصلاة، أو أجنحتنا في الهواء. منتظرين ما نؤمر. وقيل: نصفُّ أجنحتنا حول العرش داعين للمؤمنين. وقيل: إنّ المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية. وليس يصطف أحد من أهل الملل في صلاتهم غير المسلمين ﴿الْمُسَبِّحُونَ﴾ المنزهون أو المصلون. والوجه أن يكون هذا وما قبله من قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الصافات: ١٥٩] من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾ [الصافات: ١٥٨] كأنه قيل: ولقد علم الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم في مناسبة رب العزّة، وقالوا: سبحان الله، فنزهوه عن ذلك، واستثنوا عباد الله المخلصين وبُرَّأهم منه، وقالوا للكفرة: فإذا صحّ ذلك فإنكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحداً من خلقه وتضلّوه إلاّ من كان مثلكم ممن علم الله ـ لكفرهم، لا لتقديره وإرادته[2]، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيراً ـ أنهم من أهل النار، وكيف نكون مناسبين لربّ العزّة ويجمعنا وإياه جنسية واحدة؟ وما نحن إلاّ عبيد أذلاء بين يديه، لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يزل عنه ظفراً؛ خشوعاً لعظمته وتواضعاً لجلاله، ونحن الصافون أقدامنا لعبادته وأجنحتنا، مذعنين خاضعين مسبحين ممجدين، وكما يجب على العباد[3] لربهم. وقيل: هو من قول رسول الله ﷺ، يعني: وما من المسلمين أحد إلاّ له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله، من قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ثم ذكر أعمالهم وأنهم هم الذين يصطفون في الصلاة يسبحون الله وينزهونه مما يضيف إليه من لا يعرفه مما لا يجوز عليه.

﴿وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

هم مشركو قريش كانوا يقولون: ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾ أي كتاباً ﴿مِّنَ﴾ كتب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾

---

(١) تقدم.

(٢) قوله: «لا لتقديره وإرادته تعالى» مبني على مذهب المعتزلة أن الله لا يقدر الشر ولا يريده. وقال أهل السنة: إن كل كائن فهو بقضاء الله وقدره، كما بين في علم التوحيد. (ع).

(٣) قوله: «وكما يجب على العباد لربهم» لعله كما يجب. كعبارة النسفي. (ع).

الذين نزل عليهم التوراة والإنجيل؛ لأخلصنا العبادة لله، ولما كذبنا كما كذبوا، ولما خالفنا كما خالفوا، فجاءهم الذكر الذي هو سيد الأذكار، والكتاب الذي هو معجز من بين الكتب، فكفروا به. ونحوه ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢] فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام. و«إن» هي المخففة من الثقيلة، واللام هي الفارقة. وفي ذلك أنهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول جادّين فيه، فكم بين أوّل أمرهم وآخره.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

الكلمة: قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ وإنما سماها كلمة وهي كلمات عدّة؛ لأنها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم كلمة مفردة. وقرئ: «كلماتنا» والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا، وعلوهم عليهم في الآخرة، كما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢] ولا يلزم انهزامهم[1] في بعض المشاهد، وما جرى عليهم من القتل فإن الغلبة كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة، وكفى بمشاهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين مثلاً يحتذى عليها وعبراً يعتبر بها./ ٢/ ١٣٣أ وعن الحسن رحمه الله: ما غلب نبيّ في حرب ولا قتل فيها، ولأن قاعدة أمرهم وأساسه والغالب منه: الظفر والنصرة ـ وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة ـ والحكم للغالب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة. وفي قراءة ابن مسعود: «على عبادنا»، على تضمين سبقت معنى حقت.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عنهم وأغض[2] على أذاهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى مدة يسيرة وهي مدّة الكف عن القتال. وعن السدي: إلى يوم بدر. وقيل: إلى الموت. وقيل: إلى يوم القيامة ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وما يقضى عليهم من الأسر والقتل والعذاب في الآخرة، فسوف يبصرونك وما يقضى لك من النصرة والتأييد والثواب في العاقبة. والمراد بالأمر بإبصارهم على الحال المنتظرة الموعودة، الدلالة على أنها كائنة واقعة لا محالة، وأنّ كينونتها قريبة كأنها قدام

---

(١) قوله: «ولا يلزم انهزامهم» أي لا يرد نقضاً للغلبة والنصر. (ع).
(٢) قوله: «وأغض على أذاهم» في الصحاح «الإغضاء»: إدناء الجفون. (ع).

ناظريك. وفي ذلك تسلية له وتنفيس عنه. وقوله: ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ للوعيد كما سلف لا للتبعيد.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

مثل العذاب النازل بهم بعد ما أنذروه فأنكروه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا إلى إنذاره، ولا أخذوا أهبتهم، ولا دبروا أمرهم تدبيراً ينجيهم، حتى أناخ بفنائهم بغتة، فشنّ عليهم الغارة وقطع دابرهم، وكانت عادة مغاويرهم أن يغيروا صباحاً، فسميت الغارة صباحاً وإن وقعت في وقت آخر، وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك إلا لمجيئها على طريقة التمثيل، وقرأ ابن مسعود: فبئس صباح. وقرئ: «نزل بساحتهم» على إسناده إلى الجار والمجرور كقولك: ذهب بزيد ونزل، على: ونزل العذاب. والمعنى: فساء صباح المنذرين صباحهم، واللام في المنذرين مبهم في جنس من أنذروا؛ لأن ساء وبئس يقتضيان ذلك. وقيل: هو نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح بمكة. وعن أنس رضي الله عنه: لما أتى رسول الله ﷺ خيبر ـ وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي ـ قالوا: محمد والخميس، ورجعوا إلى حصنهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» (١٣٠٧) وإنما ثنى ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ ليكون تسلية

١٣٠٧ ـ أخرجه البخاري (٢/ ١٠٧) كتاب الأذان: باب «ما يحقن بالأذان من الدماء» رقم (٦١٠)، (١/ ٥٧٢) كتاب الصلاة: باب «ما يذكر في الفخذ» رقم (٣٧١)، (٢/ ٥٠٧، ٥٠٨) كتاب الخوف: باب «التبكير والغلس بالصبح، والصلاة عند الإغارة والحرب»، رقم (٩٤٧)، (٤/ ٤٨٩)، كتاب البيوع: باب «بيع العبد والحيوان بالحيوان نسيئة» رقم (٢٢٢٨) طرفا منه، (٤/ ٤٩٤)، كتاب البيوع: باب «هل يسافر بالجارية قبل أن يستبرئها» رقم (٢٢٣٥)، (٦/ ٩٨) كتاب الجهاد والسير: باب «فضل الخدمة في الغزو» رقم (٢٨٨٩)، (٦/ ١٠١، ١٠٢) كتاب الجهاد والسير: باب «من غزا بصبي للخدمة» رقم (٢٨٩٣)، (٦/ ١٣٠) كتاب الجهاد والسير: باب «دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة» رقم (٢٩٤٣ ـ ٢٩٤٤ ـ ٢٩٤٥)، (٦/ ١٥٦) كتاب الجهاد والسير: باب «التكبير عند الحرب» رقم (٢٩٩١)، (٦/ ٢٢٢، ٢٢٣) كتاب الجهاد والسير: باب «ما يقول إذا رجع من الغزو» رقم (٣٠٨٥ ـ ٣٠٨٦)، (٦/ ٢٢٣، ٢٢٤) كتاب الجهاد والسير: باب «الصلاة إذا قدم من سفر» رقم (٣٠٨٧)، (٦/ ٧٣٢) كتاب المناقب: باب «٢٨» رقم (٣٦٤٧)، (٧/ ٤٣٦) كتاب المغازي: باب «أحد جبل يحبنا ونحبه» رقم (٤٠٨٣ ـ ٤٠٨٤)، (٧/ ٥٣٤) كتاب المغازي: باب «غزوة خيبر» رقم (٤١٩٧ ـ ٤١٩٨ ـ ٤١٩٩ ـ ٤٢٠٠ ـ ٤٢٠١)، (٧/ ٥٤٧) كتاب المغازي: باب «غزوة خيبر» رقم (٤٢١١ ـ ٤٢١٢ ـ ٤٢١٣)، (٩/ ٢٩) كتاب النكاح: باب «اتخاذ السراري، ومن أعتق جارية ثم تزوجها» رقم (٥٠٨٥)، (٩/ ١٣٢) كتاب النكاح: باب «البناء في السفر» رقم =

على تسلية. وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد. وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول، وأنه يبصروهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة. وقيل: أريد بأحدهما عذاب الدنيا، وبالآخر عذاب الآخرة.

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

أضيف الرب إلى العزّة لاختصاصه بها كأنه قيل: ذو العزّة، كما تقول: صاحب صدق لاختصاصه بالصدق. ويجوز أن يراد أنه ما من عزّة لأحد من الملوك وغيرهم إلاّ وهو ربها ومالكها، كقوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]: اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا إليه، مما هو منزه عنه، وما عاناه المرسلون من جهتهم، وما خوّلوه في العاقبة من النصرة عليهم، فختمها بجوامع ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه به المشركون، والتسليم على المرسلين ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ على ما قيض لهم من حسن العواقب، والغرض تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن

= (٥١٥٩)، (٩/ ١٤٠) كتاب النكاح: باب «الوليمة ولو بشاة» رقم (٥١٦٩)، (٩/ ٤٤٠) كتاب الأطعمة: باب «الخبز المرقق، والأكل على الخوان والسفرة» رقم (٥٣٨٧)، (٩/ ٤٦٥) كتاب الأطعمة: باب «الحيس» رقم (٥٤٢٥)، (٩/ ٤٦٦) كتاب الأطعمة: باب «ذكر الطعام» رقم (٤٤٢٨)، (٩/ ٥٧٠) كتاب الذبائح والصيد: باب «لحوم الحمر الإنسية» رقم (٥٥٢٨)، (١٠/ ٢٦) كتاب الأضاحي: باب «ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها» رقم (٥٩٦٨)، (١٠/ ٥٨٤) كتاب الأدب: باب «قول الرجل» جعلني الله فداك» رقم (٦١٨٥)، (١١/ ١٧٧) كتاب الدعوات: باب «التعوذ من غلبة الرجال» رقم (٦٣٦٣)، (١١/ ١٨٢) كتاب الدعوات: باب «الاستعاذة من الجبن والكسل» رقم (٦٣٦٩)، (١٣/ ٣١٦) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب «إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة» رقم (٧٣٣٣)، ومسلم (٢/ ١٠٤٣، ١٠٤٤) كتاب النكاح: باب «فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها» رقم (٨٤/ ١٣٦٥)، والنسائي (٦/ ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤)، كتاب النكاح: باب «البناء في السفر» رقم (٣٣٨٠)، وأحمد (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١١١ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٨٦ ـ ٢٠٦ ـ ٢٤٦ ـ ٢٦٣ ـ ٢٧٠ ـ ٢٧١)، والبيهقي (٢/ ٢٣٠) كتاب الصلاة: باب «من زعم أن الفخذ ليست بعورة، وما قيل في السرة والركبة»، (٩/ ٥٥) كتاب السير: باب «قسمة الغنيمة في دار الحرب»، (٩/ ٧٩، ٨٠)، كتاب السير: باب «قتل النساء والصبيان في التبييت والغارة من غير قصد، وما ورد في إباحة التبييت»، وابن حبان (١١/ ٥١، ٥٢)، كتاب السير: باب «ذكر البيان بأن على المرء إذا أتى دار الحرب أن لا يشن الغارة حتى يصبح» رقم (٤٧٤٧). ومالك في «الموطأ» (٢/ ٤٦٨ ـ ٤٦٩) كتاب السير: الخروج وكيفية الجهاد» رقم (٤٧٤٦)، والترمذي (٤/ ١٢١)، كتاب السير: باب «في البيات والغارات» رقم (١٥٥٠).

قال الحافظ ابن حجر: متفق عليه.

مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه المجيد. وعن عليّ رضي الله عنه: «من أحبّ أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: «سبحان ربك رب العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» (١٣٠٨).

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين» (١٣٠٩).

١٣٠٨ ـ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/٢٣٦ ـ ٢٣٧) حديث (٣١٩٦)، والبغوى في تفسيره (٤/٤٦)، وزاد نسبه للثعلبى في تفسيره وابن أبي حاتم، وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه عبد الرزاق والثعلبى من رواية الأصبع بن نباتة عن علي موقوفاً، ورواه ابن أبي حاتم من رواية الشعبي عن النبي ﷺ مرسلاً، انتهى.

١٣٠٩ ـ تقدم برقم (٣٤٦)، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف: أخرجه الثعلبى، وابن مردويه، والواحدي من طرف عن أبي بن كعب رضي الله عنه، انتهى.